أكبر الكبائر
الشرك بالله تعالى!

أنواعه ـ أسبابه ـ نتائجه ـ الوقاية منه

(دراسة قرآنية موضوعية)

الدكتور
محمد رفعت زنجير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإهـــــــداء

إلى الكاتب الإسلامي الكبير. .

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى!

لقد كان علم الإسلام في الهند، وعلم الهند في العالم الإسلامي!

طيب الله ثراه. .

وجعل الجنة مثواه. .

إلى روحه الطاهرة. . أهدي هذا البحث

المؤلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكبر الكبائر : الشرك بالله تعالى!

المقدمـــــة

الحمد لله الواحد الأحد، الصمد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، والذي رفع السماء بلا عمد، وبـ سط الأرض على ماء جمد، سبحانه (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ). (الاخلاص: ٣-٤) .

والصلاة والسلام على نبيه الكريم مُحَمَّد سيد ولد عدنان، وأشرف إنسان، جاء داعياً إلى التوحيد، با لوعد والوعيد، ومحذراً من الشرك وأسبابه ونتائجه، وموجهاً لإخلاص العبادة لله تعالى!، فهي سبيل صلاح الفرد والأسرة والمجتمع، وهي عنوان الحضارة والرقي، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله ا لأطهار، وصحابته الأبرار، ما جن ليل وشعشعت شمس في رابعة النهار، وسلم تسليما كثيراً.

التحذير من الشرك

وبعد: آيات الوعيد كثيرة!، ولعل أعظم آيتين في الوعيد هما: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً). (النساء: ٤٨). وقوله ت عالى أيضاً: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً). (النساء: ١١٦). فقد دلت الآيتان دلالة يقينية صريحة، بلا لبس ولا غموض، عل ى أن جريمة الشرك بالله مستثناة من دائرة الغفران، فقد يغفر لعبده كل ذنب!، ويتجاوز عن كل سوء وتقصير وسهو وغفلة مما قد يقع من العبد في حياته!، ولكنه سبحانه حاشاه أن يغفر الشرك، لما في الشرك من آثام بحق الله وحق العبد نفسه.

توحيد الله تعالى، و التحذير من الشرك، أهم موضوعات القرآن الكريم

وعليه "فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[١]، وفي الاتجاه نف سه تسير السنة النبوية، ولذلك ورد التحذير من الشرك في صدارة وصايا الرسول ـ ﷺ ـ لأصحابه،

[١] - شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعن معاذ، قال: أوصاني رسول الله ـ ﷺ ـ بعشرِ كلماتٍ، قال: (لا تشركْ باللهِ شيئاً، وإنْ قُتلتَ أو حُرِّقتَ)... ثم ذكر باقي الوصايا[٢]. وعن ابن مسعود، ﷺ، قال: قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟. قال: (أن تدعوَ لله نداً وهو خلقك) [٣]، وبالمقابل وعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموحدين بالجنة، ففي الحديث: (من مات وهو يعلمُ أنه لا إله إلا الله دخل الجنة). [٤]

أسباب كتابة البحث

وقد تعلق الخاطر بالبحث عن الشرك، وصوره الفظيعة التي ذكرها القرآن الكريم، حتى يتجنبها المرء فينجو بنفسه من العذاب الخالد يوم القيامة!.

وسبب آخر دفعني لكتابة هذا البحث، وهو قول النبي المعصوم ـ ﷺ ـ: (إنما بعثت لأتمم صالح ـ وفي رواية: مكارم ـ الأخلاق)[٥]، فهذا يعني أن العقيدة الإسلامية قائمة على قواعد الخلق، وهذا ما دفعني لاستنباط الأسس الأخلاقية لعقيدة التوحيد، فالتوحيد قائم على العدل والحق والصدق والصواب، وبضده الشرك الذي هو قائم على

الظلم والباطل والكذب والضلال في التصور والمنهج.

---

[٢] – من حديث رواه أحمد، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٤١٩/٣). الحديث (٥١٣١).

[٣] – من حديث متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، (٢٢/١)، الحديث (٤٩).

[٤] – رواه مسلم عن عثمان ﷺ، انظر: مشكاة المصابيح، (١٧/١)، الحديث (٣٧).

[٥] – رواه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، وأحمد، وابن سعد في الطبقات، عن أبي هريرة ، انظر: الجامع الصغير، (٥٧٢/٣)، الحديث (٢٥٨٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسبب ثالث: أن العالم اليوم يموج بالفتن والاضطرابات والحروب، وهي جميعاً أثر من آثار الشرك با لله تعالى والإعراض عن دينه وتحكيم شرعه، فكان لا بد من توضيح مخاطر الشرك وآثاره؛ حتى تن جو الإنسانية من العذاب النسبي الذي تعانيه الشعوب بسبب الشرك في حياتهم الدنيا، فالأنظمة ا لتشريعية الوضعية سواء انتسبت إلى الديكتاتورية أو نقيضها الديمقراطية. . كلها تمت إلى الشرك بسبب، وقانا الله من الشرك وأسبابه.

وسبب رابع: هو اختلاط كثير من الشعائر الدينية ببعض المظاهر الشركية، فكان لا بد من التحذير من هذا الشرك ليكون الدين كله خالصا لله تعالى.

الخطة في البحث

لهذه الأسباب جاء هذا البحث الموسوم بـ: (أكبر الكبائر: الشرك بالله تعالى! أنواعه ـ أسبابه ـ نتائ جه ـ الوقاية منه ـ دراسة قرآنية موضوعية). وهو موزع وفق الخطة الآتية:

تمهـــيد: في تحرير بعض المصطلحات.

الفصل الأول: أنواع الشرك وصوره.

الفصل الثاني: أسباب الشرك وبواعثه.

الفصل الثالث: آثار الشرك ونتائجه.

الفصل الرابع: الوقاية من الشرك بالله العظيم.

الخاتمـــة: ونوجز فيها البحث وأهم التوصيات.

وقد قسمنا كل فصل إلى مباحث جانبية، وقسمنا المباحث إلى فقرات فرعية، بما يخدم فكرة البح ث والغرض منه!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنهج المتبع

وأما المنهج المتبع فهو:

١- عرض الآيات القرآنية عرضا موضوعيا مباشرا.

٢- الربط بين الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد.

٣- تقديم نماذج لكل موضوع بعد محاولة التتبع والاستقصاء.

٤- الابتعاد عن التكرار قدر الإمكان، فلا يتم تكرير ذكر الآية في أكثر من موضع إلا للضرورة.

٥- الإيجاز في الشرح والتحليل.

٦- توثيق بعض الأحاديث النبوية والشواهد العلمية والآثار المروية في مظانها الأساسية.

٧- ذكر النتائج في آخر البحث من غير تكلف ولا تعمل.

أسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل، وينفع به، ويجعلني والقارئ الكريم ممن يُقال له يوم القيامة: (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ). (الحاقة: ٢٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهـــــيد

لا بد في البداية من تحرير المصطلحات الآتية: (الرب ـ الإله ـ الدين ـ العبادة ـ الكفر ـ الشرك)، لنعر ف بعد ذلك كيف يتطرق إلى بعضها معنى الشرك، وفيما يأتي جدول يوضح معانيها:

المصطلح	المعنى اللغوي والشرعي
الرب	"الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام... ولا يقا ل الربُّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات". "ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، أو صاحبه".
الإله	الإله: المعبود، وألهَ فلانٌ يأْلهُ: عبد... وإله حقه أن لا يجمع، إذ لا معبود سواه، لك نِ العربُ لاعتقادهم أن هاهنا معبودات جمعوه فقالوا: الآلهة.
الدين	قال الراغب: "والدِّينُ يقال: للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال باعتبار الطاعة والانقياد للشريعة".
العبادة	العبادة في اللغة: الطاعة. قال الراغب: "العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يس تحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى".
الكفر	الكُفْر في اللغة: ستر الشيء، ووُصفَ الليل بالكافر: لستره الأشخاص، والزَّرَّاع لس تره البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما. . وقال الفيروز آبادي: "الكفر ضد الإيمان". وقال الراغب: "وأعظم الكفر: جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة... والكافر ء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

	لى الإطلاق: متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها، وقد يق ال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شكر الله عليه".
الشرك	الشِّرْك في اللغة: النصيب، ويجمع على أشراك، واعتقاد تعدد الآلهة قال الراغب: "وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبا ت شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفرٍ، قال: (إِنَّ اللَّهَ لا يَ غْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ). (سورة النساء: من الآية ١١٦). وقال: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً). (سورة النساء: من الآية ١١٦). (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ). (سورة المائدة: من الآية ٧٢)... . والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: (شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (سورة الأعراف: من الآية ١٩٠)... . وقوله تعالى: (وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً). (سورة الكهف: من الآية ١١٠). محم ول على الشركين".

تعقيب:

١- يكون الشرك في الربوبية عند اعتقاد أن ثمة خالق أو مالك يشارك الله في عملية الخلق

٢- والرزق، والإحياء والإماتة، وإنزال الغيث ونحو ذلك... مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!.

٣- يكون الشرك في الألوهية عند صرف العبادة أو جزء منها لما سوى الله تعالى، من حجرٍ أو بشر، أو ملائكة، أو أجرام سماوية ونحوها، على أساس أنها تضر وتنفع، أو أن لها واسطة عند الله تعالى!.

٤- يكون الشرك في الربوبية والألوهية معاً عند: التشويه والإساءة والتحريف والزيادة والنقصان في أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فهو الكمال والجمال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٥- كلمة (رب) أوسع دلالة لغوية من كلمة (إله)، ولكن في لفظ: (لاإله إلا الله) فإن كلمة إله هنا تعني المعبود بحق٦، فهي تشتمل معنى الرب أيضاً٧، لأن المعبود بحق لا بد أن يكون رباً، وعليه قالوا: "توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس"٨، وكثيراً ما تنوب إحدى الكلمتين عن الأخرى فتتضمن معناها، وهذا كثير في الكتاب والسنة. ومن ثم فإن: (لاإله إلا الله) هي أفضل كلمة تدل على التوحيد، وقد تضمنت أيضاً لفظ (الله) الذي هو الاسم الأعظم على رأي الجمهور٩، ولذلك فهي أفضل الذكر، وخير كلمة قالتها الأنبياء عليهم السلام١٠.

٦- يكون الشرك في الدين عندما ينبذ الناس تشريعه في شئون حياتهم، ويشرعون لأنفسهم، أو عندما يحرفون نصوصه ابتغاء مصلحة ما، وكأنهم أدرى بمصالحهم من الله تعالى!.

٧- يكون الشرك في العبادة إذا خالطها أدعية او طقوس تتناقض مع التوحيد، أو عند صرفها لغير الله تعالى.

٨- الكفر ما أخرج من الملة، والشرك هو الكفر الأكبر، ويفترض في كل كافر أن يكون مشركاً، وذلك أن الكافر ليس له علم شرعي بالذات الإلهية، فإما أن يجهل بعض الصفات أو ينكرها أو يصف الله بما ليس هو أهله، أو ينقاد لشريعة جاهلية أو وضعية، وهذا كله شرك بالله تعالى، وأما ما ورد عن بعضهم مثل أبي سفيان١١ أو زوجته هند١٢ من أنها لم تشرك في الجاهلية شيئاً، أو أنها توصلت إلى التوحيد بفطرتها، فالمراد أنها لم تؤمن بتعدد الآلهة، وهو أسوأ أنواع

---

٦ - المفردات في غريب القرآن، مادة (رب).

٧ - القاموس المحيط، مادة (ربب).

٨ - انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (أله).

٩ - المفردات في غريب القرآن، مادة (دين).

١٠ - القاموس المحيط، مادة (عبد).

١١ - المفردات في غريب القرآن، مادة (عبد).

١٢ - المفردات في غريب القرآن، مادة (كفر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشرك، ولكن لا يعني هذا ـ بالضرورة ـ أنه لم يقع منها شرك في أمور أخرى، إذ لا سبيل لمعرفة التوحيد والبراءة من الشرك إلا بتصديقه واتباعه ـ ﷺ ..

٩- الشرك الأصغرهو الرياء، وهو مرض نفسي، يعمل الإنسان الصدقة مثلا حتى يقال إنه كريم، وليس خالصا لوجه الله تعالى، وهذا الشرك يحبط العمل، ولكن لا يُخرج من الملة. ١٣

١٠- يطلق لفظ الشرك أو المشركين في أنواع ثلاثة:

الأول: خاص بعبدة الأوثان، وهم أسوأ المشركين وأحطهم قدرا ومقدارا، قال تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ). (سورة البينة: ١).

الثاني: يعم كل من عبد مع الله إلهاً آخر، أو انتقص من كمال الله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله١٤، ويندرج فيه أهل الكتاب مع أهل الوثنية وغيرهم، قال تعالى: (قُلْ يَا

أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ). (سورة آل عمران: ٦٤). ومعلوم أن الإشراك لم يقع من المسلمين؛ وإنما من أهل الكتاب ، ولذلك دعاهم المولى تعالى إلى نبذ الشرك وعبادته وحده.

وفي السياق ذاته قال تعالى منددا بعقيدة التثليث، وأنها تتناقض مع التوحيد: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). (سورة المائدة: ٧٣).

وقال أيضاً يبين ضعف عيسى عليه السلام، وضعف أمه الصديقة مريم، وضعف من في الأرض جميعاً أمام هيبته وجبروته؛ ومن كان ضعيفاً لا يكون شريكاً للمليك المقتدر: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَ

---

١٣ – القاموس المحيط، مادة (كفر).

١٤ – المفردات في غريب القرآن، مادة (كفر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِ يرٌ). (سورة المائدة: ١٧).

الثالث: أهل الرياء، وهو الشرك الأصغر، ففي الحديث: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشر ك، من عملَ عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه). وفي رواية: (فأنا منه بريء، هو للذي عم له). ١٥

فائدة

يظن بعض أهل الكتاب وغيرهم أن لفظ الكفر اخترعه المسلمون ليسفهوا غيرهم، وهذا وهم خاط ئ، فاللفظ موجود في اللغة، ومعناه الستر، فلما كان الإيمان هو الفطرة، كان الكفر سترا للإيمان، وأمراً طارئاً على قلب الإنسان، جعله يحجب الإيمان الذي هو أصل فيه، ويعلن الكفر وهو أمر ط ارئ عليه، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فكل من جحد شيئاً فهوكافر به، وعليه فالمؤمن كافر با لطاغوت وباللات والعزى، كما أن الكافر يكفر بالله أو بالرسالة، ولكن شتان بين الكفرين!، فمن شعر بمعرة الكفر بالله والرسالة وأراد أن يمحو عن نفسه خزي الكفر في الدنيا والآخرة، فما عليه س وى أن ينطق بالشهادتين، ويدخل في جنة الإيمان وبستان المعرفة واليقين.

* * *

[١٥] – المعجم الوسيط، مادة (شرك).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول:

أنواع الشرك وصوره

التوحيد هو جوهر الوجود، وحداء السماء والأرض، ونشيد الكون غيبه وشهادته: من الذرة حتى ا لمجرة، ومن الصخور الصماء إلى القلوب التي تنبض بالدماء!، وهو أصل الحقائق كلها، وأعظمها وأ همها وأغلاها، وهو أيضاً معدن العلم ونبع الجمال، وشعار كل خير، ومصدر للسعادة النفسية والإ نسانية، ونبع لكل القيم الجميلة العليا من عدل وحرية ومساواة ونحو ذلك!.

وهو أيضاً القاعدة الأساسية السوية للدين الحنيف، وقد بشرت به جميع الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ). (سورة الأنبياء: ٢٥).

وبضده الشرك، فهو رأس كل بلاء، وسبب كل شقاء، وأصل الفساد والإفساد، ولذلك فهو يذه ب بحسنات سيد الخلق لو وقع في شيء منه . وحاشاه أن يقع! . فكيف بحسنات من سواه؟، قال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ). (سورة الزمر: ٦٥).

وسبب فظاعة جريمة الشرك أنه يمثل أسوأ صورة من صور التخلف المعرفي بحق الذات الإلهية العظم ى، فالله سبحانه وتعالى في التصور الإسلامي هو: الربُّ الإله المالك المعبود الموصوف بصفات الج مال والكمال، الأولُ بلا بداية، والآخرُ بلا نهاية، له الأسماء الحسنى، بديعُ السماوات والأرض، ي سبح كل شيء بحمده، ولا يشبهه شيء من خلقه، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَ صِيرُ). (الشورى: من الآية١١). فكيف يكون له بعد هذا كله ند يشبهه، أو شريك من خلقه؟!.

ولكن غالبية البشر بسبب ضعفٍ من عقولهم، وقلة خبرتهم، وميلهم للخضوع والخنوع، وتشبثهم با لعادات والتقاليد الفاسدة، وقعوا بالشرك، فنسب لربه من آمن منهم بالله ما ينسب إلى البشر من ا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأقرباء والأولاد، ومنهم من عبد المظاهر الطبيعية والقوى الكونية، ومنهم من شُغل بعبادة الطاغو ت، ومنهم من ألحد في الأسماء والصفات والأفعال، ومنهم من مارس التشريع بمعزل عن الشريعة، و هو ما سنوضحه في مباحث هذا الفصل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:

نسبة الأقرباء لله تعالى

ينطلق التصور الإسلامي للذات الإلهية من أن الله تعالى هو: مصدرُ الخير والسلطات كلها، بائنٌ عن خلقه، وغنيٌّ عنهم، ليس كمثله شيء... ويكمن التخلف المعرفي في عدم تنزيه ذات العلي القدير عن مشابهة خلقه ضمن صور عدة، في مقدمتها: الشرك بالله، وهو أكبر الكبائر وأسوأ الذنوب، ويأتي في مقدمة الشرك نسبة الأبناء والزوجة ونحو ذلك من الأقرباء إليه سبحانه وتعالى، وهو ما نفته بشدة آيات القرآن وسوره، ومن ذلك ما جاء في سورة الإخلاص التي خصصت لتنزيه الإله عما لا يليق به من العلاقات البشرية والأحوال الإنسانية.

ومما وقعت به البشرية من صور الشرك الآتي:

١- نسبة الولد

وذلك كأن ينسب لله ولد تعالى الله عن ذلك!، فكيف يكون له ولد وليس له زوجة ولا صاحبة؟!، ولو كان له ولد لكان ولده إلهاً، والإله لا يكون مخلوقاً محدثاً، وإنما هو حي قيوم أزلي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشراكة في الألوهية تقتضي الصراع بين المتشاركين، ويؤدي هذا إلى فساد الكون بالضرورة، ولما كانت قوانين الكون في منتهى التوحد والانسجام فهذا ينفي الصراع، فالشراكة التي هي سببه[١٦]، قال تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ). (المؤمنون: ٩١).

٢- نسبة الزوجة

مثلما نفى الله سبحانه عن نفسه الولد، فقد نفى الزوجة أيضاً، قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). (الأنعام: ١٠١). فالله تعالى الذي أبدع كل شيء، وأوجد كل شيء، ويعلم كل شيء، هو الغني عن كل شيء، فلا ولد له ولا صاحبة، لأن الإنسان يطلب الزوجة لتؤنسه، والولد ليرثه، والله غني بذاته عن غيره، وهو يرث ولا يورث وهو خير الوارثين، لذا فهو أكبر من أن يكون له زوجة أو ولد، أدركت الجن

---

[١٦] – المفردات في غريب القرآن، مادة (شرك).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا بفطرتها فآمنت به سبحانه رباً مالكاً لا رب سواه ولا شيء يعدله، وهتفت معلنة بالتوحيد كما قال تعالى يحكي عنها: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً). (الجن: ٣).

٣- نسبة البنات

وقد نسب المشركون الملائكة إلى الله تعالى، وكان زعمهم أن الملائكة بنات الله، وأن الله تزوج بالجن فولدت الملائكة تعالى الله عن ذلك![١٧]، قال تعالى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ). (الصافات: ١٥٨).

وقد أنكر الله دعواهم بأن الملائكة بناته سبحانه، فهو ادعاء لا دليل عليه، إذ لم يحضروا خلق الملائكة، ولم يطلعوا على الغيب، قال تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلونَ). (الزخرف: ١٩). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى). (النجم: ٢٧). . وقال أيضاً: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً). (الإسراء: ٤٠).

[١٧] - انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (١٠٧-١٠٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحق أن الملائكة عباد الله تعالى، وجنده المكرمون، خلقهم من نور، وميزهم بالجمال، وقد أمرهم الله بالسجود لآدم فامتثلوا طائعين، ولهم أشكال كثيرة، وصفات متعددة، ووظائف متنوعة كما أثبتت ذلك نصوص الوحي من الكتاب والسنة.

٤- نسبة الأنبياء والصالحين إليه تعالى

ومن الأخطاء البشعة التي وقع بها بعض البشر نسبة بعض الأنبياء والصالحين إلى الله تعالى، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ). (التوبة: ٣٠). والله أجل وأعظم من أن يكون له ولد سبحانه وتعالى!.

والصواب أن يُنسبوا إلى آبائهم، باستثناء آدم لأنه أول البشر، والسيد المسيح الذي خلقه الله مباشرة من دون أب، فكان خلقه ونطقه في المهد، وحياته وخاتمته برفعه إلى السماء، سلسلة من المعجزات، ولذلك تبرأ المسيح ممن يعبده مع الله، قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). (المائدة: ٧٢-٧٣). لقد "حذرهم المسيح ـ عليه السلام ـ فلم يحذروا، ووقعوا بعد وفاته عنهم فيما حذرهم من الوقوع فيه، وما أنذرهم عليه الحرمان من الجنة والانتهاء إلى النار. . ونسوا قول المسيح ـ عليه السلام ـ: (يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ). حيث أعلن لهم أنه هو وهم في العبودية سواء لربوبية الله الواحد الذي ليس له من شركاء. ويستوفي القرآن الحكم على سائر مقولاتهم الكافرة: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ). . ويقرر الحقيقة التي تقوم عليها كل عقيدة جاء بها رسول من عند الله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ). . ويهددهم عاقبة الكفر الذي ينطقون به ويعتقدونه: (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). . والكافرون هم الذين لا ينتهون عن هذه المقولات التي حكم عليها الله بالكفر الصراح". ١٨

---

١٨ - يفسر المفسرون أحياناً لفظ الرب بالإله والعكس، انظر مثلا تفسير الآية (١٦٣) من سورة البقرة، في مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٥٨). وتفسير الآية (٣٩) من سورة يوسف، ص (٤٥٢). من مختصر البغوي، وانظرتفسير الآية (٣٩) من سورة يوسف، في مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (٢٥٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- نسبة بعض الأمم والشعوب إلى الله تعالى

يحلو لبعض الأمم والشعوب أن تعلن قرابتها من الله تعالى، وأن لها عنده منزلة ومقام، وقد ادعى ه ذا كل من اليهود والنصارى!، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُ عَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَا لْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ). (المائدة: ١٨).

وهذا الادعاء يدل على سفاهة رأي، وضلال فكر، فكيف يميز الله بعض عباده على بعض؟، والك ل عنده سواء!، وقد وضع قوانين الحساب والجزاء للكل على حد سواء، فلا نسب بينه وبينهم إلا الطاعة، ومصيرهم جميعاً بين يديه سبحانه!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

عبادة المظاهر الطبيعية والقوى الكونية

ومن الشرك صرف العبادة لبعض مظاهر الطبيعة المختلفة[١٩]، حيث يقف الإنسان مبهورا في محرا ب الطبيعة البديع، فيظن أن بعض أجرامها آلهة له تهبه الحياة والاستمرار، فيعبدها من دون الله، ويـ سجد لها ويتقرب، من ذلك:

أ ـ السجود للشمس

هذا النجم المضيء أسر جماله أنظار البشر، فعبده بعضهم من دون الله، وكان هذا فعل قوم سبأ بال يمن، قال تعالى مخبراً عن هدهد سليمان عليه السلام الذي نقل لسليمان بأمانة صورة ما شاهده: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْ سِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ). (النمل: ٢٣-٢٤).

فالشمس بما تحمله من وهج وضوء ودفء وجمال لهذا العالم ليست سوى جرم مسخر بأمر الله تعا لى، وعبادتها من دونه سبحانه هو بتزيين الشيطان وإغوائه، وإلا فإن العقل الراشد لا يعبد إلهاً يحض ر ويأفل!، فهو محتاج إلى إله حاضر شاهد في كل الأوقات يمد الإنسان من فيضه وعطائه، وهو الله رب العالمين!.

ب ـ عبادة الشمس أو القمر

وكما عُبدت الشمس الآسرة بحسنها، عُبد القمر الذي يأخذ الألباب بسحره ونوره الأخاذ، فهو ر مز التألق بين النجوم المتناثرة في أديم السماء!، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَ رُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ). (فصلت: ٣٧).

والقمر يأفل مثل الشمس، فهو لا يستحق العبادة، ولكن يبدو أن أقواماً من المشركين "كانوا يسجـ

[١٩] – شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٨٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب". ٢٠

ت ـ عبادة الكواكب

هذه الكواكب المشعة التي تزين أديم السماء، وجد قوم فيها ضالتهم فعبدوها من دون الله تعالى!، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ). (البقرة: ٦٢).

وقد ذكر الزمخشري الصابئين في أكثر من موضع في تفسيره، فنسبهم لعبادة الملائكة في تفسير هذه الآية، ولعبادة الكواكب في آية أخرى٢١، وقد اختار الرازي "أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب، بمعنى أن الله جعلها قبلة للعباد والدعاء". ٢٢

ث ـ الشعرى

اتخذ فريق من المشركين بعض الكواكب آلهة دون سواها، فالشعرى هو: "كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها"٢٣، ولذلك قال تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى). (سورة النجم: ٤٩). فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا له سبحانه، وليس الشعرى سوى كوكب يسبح في السماء مسبحاً لله رب العالمين!.

ج ـ عبادة النار

النار هذه الشعلة المتوهجة بالدفء والضوء من جهة، والدخان والموت من جهة أخرى، وجد فيها قوم ضالتهم فعبدوها من دون الله تعالى!، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). (الحج: ١٧).

---

٢٠ – انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري، (٦/١).

٢١ – انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٧٩٧/٢). الحديث (٢٥٩٨).

٢٢ – انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (٩٠/٤).

٢٣ – انظر: الروض الأنف، للسهيلي، (١١٤/٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمجوس المذكورون في الآية هم عبدة النيران[٢٤]، وعبادتها عمل وثني، فالنار لا تملك لنفسها ضراً و لا نفعاً، وقد صيرها الله برداً وسلاماً على نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنما الذي يُعبد هو الله خالق الكون كله بما في ذلك الماء والنار معاً.

ح ـ بعض مظاهر الطبيعة الصامتة كالأشجار ونحوها

دأب بعض المشركين على عبادة الأشجار، وذلك كما في شجرة ذات أنواط، ورد عن الحارث بن مالك قال: "خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كل سنة؛ فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها، يعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ـ ﷺ ـ سدرة خضراء عظيمة. قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: الله أكبر، قلتم ـ والذي نفس مُحَمَّد بيده ـ كما قال قوم موسى لموسى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ). (سورة الأعراف: بعض الآية ١٣٨). إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم ". [٢٥]

يلاحظ أن البشر يميلون إلى تقليد بعضهم بعضاً حتى في الدين والعبادة!، فقد كاد فريق من المسلمين ينزلقون وراء المشركين في عبادة الأشجار!، ولكن الله حفظهم من هذا المنزلق بفضل توجيه نبيه ـ ﷺ ـ لهم، ولا تكاد تجد شيئاً في الطبيعة لم يعبده الوثنيون من العرب والهند والصين وغيرهم، وإنما اكتفينا بما ورد في القرآن الكريم كنماذج على ضلال من ابتغى غير الله رباً، والعياذ بالله من الشرك والمشركين!.

* * *

[٢٤] – قال ابن القيم: "وهذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ـ ﷺ ـ فيما رواه ابن حبان في صحيحه: (الشرك في هذه الأمة أخف من دبيب النملة).قالوا: كيف ننجو منه يا رسولالله؟. قال: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم). الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق عصام الدين الصبابطي، ص (١٣٣).

[٢٥] – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

عبادة الطاغوت

الطاغوت: الشيطان، أو كل ما عبد من دون الله[٢٦]، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (البقرة: ٢٥٧).

وصرف العبادة لغيرالله تعالى شرك[٢٧]، ويدخل في عبادة الطاغوت: صرفُ العبادة لبعض مظاهر الطبيعة المختلفة التي تقدم الحديث عنها في المبحث السابق، كما تشمل عبادة الطاغوت أصنافاً أخرى تعبد من دون الله تعالى، مثل:

أ. عبادة الأصنام

الأصنام حجارة لا تضر ولا تنفع، عبدها الناس وعظموها من دون الله تعالى، ابتدأت قصتها من قوم نوح، ففي البداية كانت مجرد صور وتماثيل للصالحين، أحاطها الناس بهالة من التعظيم والتقديس حتى صارت مقصودة في العبادة وحدها من دون الله تعالى، لذا كان جهد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام نصباً لتحرير البشرية من عبادة هذه الحجارة الصماء، ومن ثم عبادة كل ما سوى الله تعالى بعد ذلك. فهذا إبراهيم عليه السلام يحذر أباه من عبادتها، وقد قال له بحنان الولد المشفق مستهجنا تلك العبادة: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً). (مريم: ٤٢).

وقد استنكر الله عبادة حجارة لا تضر ولا تنفع، فهي جامدة عمياء صماء لا تدري ماذا يدور حولها، ولا تمشي ولا تبصر ولا تحس ولا تتحرك، فقال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ). (لأعرا

---

[٢٦] – رواه مسلم عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٤٦٢/٣)، الحديث (٥٣١٥).

[٢٧] – انظر: مجلة الحكمة، العدد (٣٠). المنشور في محرم ١٤٢٦، مانشستر، بريطانيا، بحث (معركة القرآن مع الجمود والتخلف)، ص (٤٧٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ف: ١٩٤-١٩٥).

وكان المشركون يخوفون الرسل ـ عليهم السلام ـ من الأوثان التي يعبدونها، ويزعمون لها الضر والنفع، قال تعالى: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). (الزمر: من الآية٣٦). ولو أنها كانت تضر وتنفع لحمت نفسها ممن يريد أن يسيء إليها!، وهذا معلوم لكل ذي بصيرة، ولكن التخلف الفكري هو الذي يدفع لعبادتها!.

ومن السخرية أن يقوم العاقل بصناعة صنم ثم يسجد لما صنعه ويقدم له القرابين، ومثل هذا العمل يدل على فقدان حاسة الوعي والإدراك عند صاحبه٢٨، ولا بد من مساعدته للتخلص من عقدة الوهم الذي يحمله على عبادة تلك الأصنام، ولذلك نجد إبراهيم عليه السلام يهرع لتحطيمها، ليحرر قومه من عقدة الوهم والاعتقاد بالخرافة والجهل، ولكنهم بدلا من أن ينتبهوا استمروا في سكرتهم!، شأن المدمن على التخدير الذي لا يصحو أبدا!، وهنا ينتصر الله عز وجل لخليله، وينقذه من النار التي قذفوه فيها، قال تعالى: (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، ما لكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضربا باليمين، فأقبلوا إليه يزفون، قال أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون، قالوا فابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين). (الصافات: ٩١-٩٨).

وأول من ابتدع عبادة الأصنام قوم نوح، فقد عبدوا: وَدّاً وسُوَاعاً ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً كما سيأتي في هذا المبحث.

ومن أسماء الأصنام المذكورة في الذكر الحكيم: (بعل). الذي عبده قوم إلياس عليه السلام، قال تعالى: (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ). (سورة الصافات: ١٢٥). وبعل "هو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سمت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل: الرب بلغة أهل اليمن". ٢٩

---

٢٨ – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٨٠١). وتفسير الكشاف، (٦٤/٤)، ومختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (١٩٣/٣).

٢٩ – في ظلال القرآن، (٩٤٥/٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الأصنام التي عبدها العرب في الجاهلية: اللات والعزى ومناة، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى). (سورة النجم: ١٩- ٢٢). ومعنى الآية: "(أفرأيتم): أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً). ٣٠

يبقى أن نشير إلى أن هذه الأوثان هي جزء من لحمة المجتمع الجاهلي ونظامه الاجتماعي، فالمساس بها مساس ببنية المجتمع الأساسية، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ). (العنكبوت: ٢٥). فهذه الأوثان كانت سبب مودتهم وتواصلهم فيما بينهم، جمعهم حبها، وصارت رمزاً لوحدتهم وإلفتهم. ٣١

ب . ومن الشرك الأمر بعبادة غير الله

يعمد المشركون إلى عبادة غير الله تعالى، وحث الناس على ذلك، قال تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ). (الزمر: ٦٤). ، ومعلوم بالضرورة أنه لا تنبغي العبادة لأحد غيره عز وجل، حتى ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، قال تعالى: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). (آل عمران: ٧٩-٨٠).

ويروج المشركون لعبادة الطاغوت، وهو الشيطان، أو كل ما عبد من دون الله، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ). (الزمر: ١٧). وعُبَّاد الطاغوت أسوأ الناس منزلة عند الله تعالى، فهم مستعدون لعبادة أي شيء من دونه سبحانه!، قال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ). (المائدة: ٦٠).

---

٣٠ - انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

٣١ - تفسير الكشاف، (٢٠١/٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت ـ عبادة الحيوانات والبهائم

تعتبر عبادة الحيوان ديدن كثير من المشركين قديماً وحديثاً، قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: (وَجَا وَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُ مْ آلِهَةٌ قَالَ

إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ). (سورة الأعراف: ١٣٨). قال ابن جرير: "وكانوا يعبدون أصناماً

على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم لاعجل بعد ذلك"٣٢.

ومعلوم أن السامري هو الذي أضل قوم موسى بعد ذلك، حيث صنع لهم عجلاً يعبدونه من دون الله تعالى حين ذهب موسى ـ عليه السلام ـ لمناجاة ربه، قال تعالى: (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْ عاً). (طه: ٨٨-٨٩). ولم يدر هؤلاء أنهم يعبدون صورة حيوان ميت لا ينفع ولا يضر، وهذا دأ ب كل من عبد الحيوان في الماضي والحاضر، فقد انحدر في عقله وتفكيره دون هذا الحيوان الذي ي عبده، ولذلك استساغ عبادة الحيوان بعد أن فقد آخر ذرة من عقله وتفكيره!.

ث- عبادة الشيطان

أشارت آيات عدة في القرآن الكريم إلى عبادة الشيطان، من ذلك قول تعالى مؤنباً البشرية على عب ادتهم إبليس من دونه: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ). (س ورة يس: ٦٠). وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو أباه لنبذ عبادة الشيطان، قال تعالى: (يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً). (سورة مريم: ٤٤).

والشيطان رأس الفتنة والفساد، وهو زعيم العصاة والمتمردين على الله رب العالمين، وهو يطمح للتشه به بالإله ابتداء من وضع عرشه على الماء٣٣، ومروراً بالأمر بالشرك والضلال، وانتهاء بدعوته النا س لعبادته، وقد زعم المشركون أن الله والشيطان أخوان تعالى الله عن ذلك. ٣٤

---

٣٢ – انظر: تفسير الكشاف (١/١٤٦)، و(٤/٢٠١)..

٣٣ – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (١/٧٢).

٣٤ – مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٩١٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمراد بعبادة الشيطان أحد الأمور الآتية:

أولا: طاعته من دون الله، وقد تقدم أن العبادة هي الطاعة. ٣٥

ثانيا: عبادته على الحقيقة٣٦، وهنالك من الفرق الباطنية من تعبده ولها طقوس خاصة.

ثالثاً: عبادة الصنم، وجعلت عبادة الصنم عبادة للشيطان لأنه الآمر بها٣٧، فقد أطلق السبب وأر يد المسبب.

ج ـ عبادة الهوى

من الناس من لا يعبد الأصنام، ولكن يعبد أهواءه وشهواته، كما هو شأن الملاحدة في كل زمان و مكان٣٨، حيث لم يتعبوا أنفسهم بعبادة الأوثان، فعبدوا أهواءهم، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً). (سورة الفرقان: ٤٣).

فكل من أنكرالخالق فهو مشرك، لأنه يعبد هواه، ويدخل في هؤلاء: "أصحاب وحدة الوجود الذي ن يقولون: ما ثم خالق ومخلوق، ولاهاهنا شيئان، بل الحق المنزه هو عين الحق المشبه". ٣٩

فهذا الذي يعبد هواه يستعصي على الإصلاح والمراجعة والتوجيه والتقويم، بل قد يكون له سمت ال علماء، ومع هذا فهو متحجر القلب مغلق الحواس، لا يتقبل الهدى أبداً، كما هو شأن كثير من علماء علوم الدنيا في زماننا، الذين يرون عظمة الله في محراب الطبيعة وخلق الإنسان ونواميس الحيا

---

٣٥ – انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٢/٢٨٤).

٣٦ – السيرة النبوية، لابن هشام، (٤/١٢٣). وانظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (٢/٤٧).

٣٧ – سيأتي قول صاحب الكشاف في تفسير الطاغوت بالشيطان، وقال الراغب: (والطاغوت: عبارة عن كل متعد وك ل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع...). انظر المفردات في غريب القرآن، مادة (طغى).

٣٨ – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

٣٩ – ذكر ابن الجوزي في كتاب (تلبيس إبليس)، ص (٥٢) كلاماً نفيساً بين كيفية تسويق إبليس لعبادة الأصنام، فقا ل طيب الله ثراه: "كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس، والإعراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يأنس بالمثل؛ دعا إبليس ـ لعنه الله ـ خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور، وأبطل عند هؤلاء العقل بالمرة، فمنهم من حسَّنَ له أنها الآلهة وحدها، ومنهم من وجد فيه قليل فطنة، فعلم أنه لا يوافقه على هذا، فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخا لق، فقالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى). (الزمر:٣).".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ة، ثم يغمضون أعينهم عن ذلك كله، منزلقين إلى مهاوي الشرك والإلحاد. . قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَ نِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ). (سورة الجاثية: ٢٣).

والشرك بصوره كلها يعود سببه إلى عبادة الهوى، يقول الغزالي: " فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ). وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (أبغض إلهٍ عُبد في الأرض عند الله تعالى هو: الهوى)٤٠. وعلى التحقيق من تأم ل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه؛ إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذل ك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى". ٤١

ح ـ الشرك بالدهر:

قد ينسب المشركون الأحداث للدهر، كما قال تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ). (سورة الجاثية: ٢٤).

نسبوا الهلاك إلى الدهر، وهو مرور الزمان "وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس هو مرور الأيا م والليالي، وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى، ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزما ن، ومنه قوله ـ ﷺ ـ: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر). أي: فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الد هر". ٤٢

وعقيدتهم في الدهر باطلة، نسجوها من وهم أنفسهم، قال الزمخشري: "وما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظن وتخمين". ٤٣

خ ـ ومن الشرك ادعاء الربوبية والألوهية

---

٤٠ – مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٧٩٩).

٤١ – المرجع السابق، ص (٩٠٧).

٤٢ – انظر: تفسير الكشاف، (٤٥٠/٣).

٤٣ – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (٤٧/٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا شأن كبار الطغاة في التاريخ، فهم لا يكتفون بالعدوان على شريعة الله، وتشريع ما لم يأذن الله به، ومحاربة الله ورسله، بل يطمحون إلى ما هو أكبر من ذلك؛ كإعلان الربوبية بعد أن استخفوا بعقول الناس!، ولم يجدوا من يراجعهم أو يردعهم[٤٤]، وهذا حال نمروذ الذي ادعى الربوبية في زمن إبراهيم عليه السلام، فاستكان له القطيع الصامت!، وما قام له إلا نبي الله إبراهيم عليه السلام، فلم يدخل معه في جدل حين ادعى ـ كاذباً ـ أنه يحيي ويميت!، وإنما أسكته بالحجة البالغة، حين طلب منه أن يأتي بالشمس من المغرب!، فوقع في الحيرة والخذلان، وذلك كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (سورة البقرة: ٢٥٨).

واستمر حال الطغاة في ادعاء هذا الأمر إلى عصر فرعون، فقد ادعى الألوهية! كما قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ). (سورة القصص: ٣٨). ثم بالغ في طغيانه فادعى الربوبية!، قال تعالى: (فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى). (سورة النازعات: ٢٣-٢٤). وكان عاقبة أمره أن قصمه الله تعالى!.

ولا تعدم في كل زمان من الدجالين من يدعي الألوهية أو الربوبية!، كما أنك لا تعدم من الرعاع من يتابعه ويصدقه!، وربما مارس سلطة الإله من دون أن يدعي الألوهية بشكل واضح تلبيساً على الأعين!، وهذا أمره أخطر[٤٥]، وحسبنا الله ونعم الوكيل!.

د ـ ومن الشرك صرف العبادة للطغاة

---

[٤٤] – روى مسلم، عن جابر، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَهُ على الماء، ثم يبعثُ سراياهُ يفتنونَ الناس، فأدناهم منه منزلةً أعظمُهم فتنةً. يجيءُ أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا. فيقول: ما صنعتَ شيئاً. قال: ثم يجيءُ أحدهم فيقول: ما تركتُهُ حتى فرقتُ بينه وبين امرأتِهِ. قال: فيدنيهِ منه، ويقول: نعم أنت). قال الأعمشُ: أراه قال: (فيلتزمُه). انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٢٧/١)، الحديث (٧١).

[٤٥] – انظر: تفسير الكشاف، (٦٤/٤).، ومختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (١٩٣/٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كم من البشر من لا أحلام لهم!، وقد ارتضوا أن يعبدوا بشراً مثلهم!، ويقدمون له فروض الطاعة و الولاء على معصية الله عز وجل، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَ حُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ا للَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ). (البقرة: ١٦٥). قال الزمخشري في تفسير الآية: (أندادا: أمثالا من الأصنام وق يل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم). ٤٦

وقال ابن القيم في تفسير الآية: "وأصل الشرك بالله الإشراك بالمحبة، كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَ نْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ). فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به نداً يحبه كما يحب الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم". ٤٧

ذ ـ عبادة الصالحين

ثمة فريق من القطعان البشرية الضالة لا يعبدون الطغاة، وإنما يعبدون الصالحين من أقوامهم!، يبتدأ الأمر بالتبرك والتقديس، وينتهي بالنحت لصورهم، ثم العبادة لتلك الصور، وهكذا ضل قوم نوح عليه السلام من قبل، كما قال تعالى: (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَنَسْراً، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً). (سورة نوح: ٢٣-٢٤).

والحقيقة أن "هذه أسماء آلهتهم، قال مُحَمَّد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح، ف لما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم، ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليس وقال لهم : لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبلي س: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك، وسُميت تل

---

٤٦ – انظر: تفسير الكشاف (٣/١٨-٢٠، و٤/٢٣)، ومختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٥٦٩، و ٧٨٨).

٤٧ – مما يؤكد أن الشيطان يطمح أن يعبد من دون الله، ما جاء في كتاب الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق الدكتور مُحَمَّد ر شاد سالم، (١/٣٧٦) وهو الآتي: "روى الطبراني في معجمه عن ابن عباس، عن النبي ﷺ. : (أن الشيطان قال: يار ب! اجعل لي قرآناً. قال: قرآنك الشعر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: مؤذنك المزمار. قال: اجعل لي كتابة. قال:كتابة ك الوشم. قال: اجعل لي بيتاً. قال: بيتك الحمام. قال:اجعل لي طعاماً. قال: طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه). فمن قاس قرآن الشيطان بقرآن الله، فالله يجازيه بما يستحقه".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين"[٤٨]

ولا فرق بين أن تعبد طاغية أو نبياً أو ولياً صالحاً، فكل هذه الأعمال بمنزلة واحدة في الشرك، وهي موجبة للعذاب الخالد في النار، فالشرك خط أحمر، لا يقبل الله بتجاوزه مهما كانت المبررات والذرائع!، وأياً كان المعبود!، لأنه لا يستحق العبادة إلا من خلق وربَّى ورزق!، وما سوى الله فكلهم عبيد؛ هم بحاجة إليه، وهو الغني عنهم سبحانه وتعالى!.

* * *

[٤٨] – انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري، (١/١٤١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع:

الإلحاد في الأسماء والصفات والأفعال الإلهية

يجب على المسلم أن يعتقد أن الله واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإذا اعتقد الـ شراكة في شيء من ذلك، فقد أشرك[٤٩]، وإذا قلد المشركين في بعض مواقفهم أو عقائدهم فقد خـ رج من حظيرة الإيمان، فمن ذلك:

أ ـ الاشمئزاز من ذكر الله وحده

وهذه صفة للمشركين، فهم يكرهون اسم الله الواحد، قال تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُو بُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ). (الزمر: ٤٥). فذكر الله وحده علامة التوحيد، وكراهية ذلك هي انخراط في سلك المشركين. وهذه الآية عابرة لحدود الزمان والمكان، فهي وإن كانت "تصف واقعة حال على عهد النبي ـ ﷺ ـ حين كان المشركون يهشون ويبـ شون إذا ذكرت آلهتهم؛ وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد. ولكنها تصف حالة نفسية تتـ كرر في شتى البيئات والأزمان. فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً، وإلى شريعة الله وحدها قانوناً، وإلى منهج الله وحده نظاماً. حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشوا وبشوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد . هؤلاء هم بعينهم الذين يصور الله نموذجاً منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان. هم الممسوخو الفطرة، المنحرفو الطبيعة، الضالون المضلون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تـ نوعت الأجناس والأقوام". [٥٠]

ب ـ الإلحاد بأسماء الله عز وجل

يجب أن نؤمن بأسماء الله كلها التي سمى بها نفسه، أو سماه بها نبيه مُحَمَّد ـ ﷺ ـ، فمن ذلك أسماؤ ه الحسنى، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا

---

[٤٩] – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٢٠٤).

[٥٠] – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كَانُوا يَعْمَلُونَ). (سورة الأعراف: ١٨٠).

ومن هذه الأسماء ما ورد في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (الحشر: ٢٣). وغيرها كثير ثابت صحيح بنصوص الأصلين.

وقد بين سبحانه أن المشركين أنكروا اسم الرحمن، وهو من أعظم أسمائه، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً). (الفرقان: ٦٠). وعليه فلا ينبغي إنكار الأسماء الصحيحة لله رب العالمين، وهي تدل على عظمته سبحانه، وذلك لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى كما هو متعارف عليه عند العرب. ٥١

ت ـ الإلحاد في صفات الله عز وجل

يجب أن نؤمن بصفات الله كلها التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها نبيه مُحَمَّد ـ ﷺ ـ، وهي صفات مشتقة من أسمائه كالرحمة والعدل والقدرة والغنى، ونحو ذلك من صفات الكمال والجلال المطلقة، وفي مقابل ذلك ينبغي أن ننفي عنه سبحانه كل صفة سلبية، أوصفه بما لا يليق به سبحانه كالفقر مثلا، وقد ادعى ذلك اليهود، قال تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ).

(آل عمران: ١٨١).

كما وصفوه بالبخل تعالى الله عن ذلك! حيث قال: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ). (المائدة: ٦٤).

فالصفات السلبية الناقصة بحق الله تعالى مستحيلة، وهي من عمل المشركين.

ث ـ طلب رؤية الله جهرة

إن طلب رؤية الله جهرة في الدنيا، وجعله سبيلا وحيدا لليقين، هو من عمل المشركين، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ

---

٥١ – أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عُتُوّاً كَبِيراً). (الفرقان: ٢١). وذلك أن الله تعالى من صفاته أنه لا يُرى في الدنيا، قال تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ). (الأنعام: ١٠٣).

ج ـ نسبة أي فعل كوني لغير الله

إن الله تعالى هو الذي خلق الكون بما فيه، وهو المتحكم فيه وحده، فمن نسب شيئا من الأفعال التي تحصل في الكون لغير الله تعالى فقد أشرك، كالخلق والبعث مثلاً، قال تعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ). (يونس: ٣٤).

ومن الأفعال التي انفرد بها سبحانه: خلق العالم كله، وإنزال المطر، والإنبات، وتمهيد الأرض، وشق الطرقات، وتسيير الأنهار، وإرساء الجبال، وإقامة الحواجز بين البحار، وإجابة المضطر، وإبقاء البشر ية جيلاً بعد جيلٍ، ومساعدة الناس وهدايتهم في البر والبحر، وإرسال الرياح، والخلق والبعث، والر زق ونحو ذلك، كما قال تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ ا لْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (النمل: ٦٠- ٦٤).

ح ـ إنكار بعض الكتب والرسل

من أسس الإيمان أن يؤمن المسلم بجميع الكتب والرسل بلا استثناء، فالكتب السماوية كلام الله تعالى، والكلام هو من صفاته؛ حيث كلم موسى تكليماً، وإرسال الرسل هو من عدله الذي هو من صفاته أيضاً، وبهم تقوم الحجة، كما قال تعالى: (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً). (سورة النساء: ١٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وربما حاول المشركون من أعداء الرسل عليهم السلام التفرقة بين الله ورسله، والإيمان

ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر، وكأن القضية مجرد هوى أو مزاج!، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا). (سورة النساء: ١٥٠-١٥١).

ويعد "إنكار رسالته ـ ﷺ ـ طعنٌ في الرب تبارك وتعالى، ونسبة له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحدٌ للربِّ بالكلية وإنكارٌ". ٥٢

وقد ينكر المشركون النبوات جميعاً، وينكرون الكتب المنزلة، وهذا غاية الضلال!، إذ يعني عبثية وجود الإنسان في هذه الحياة، والله منزه عن العبث، كما قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ). (سورة الأنعام: ٩١).

ولا شك أن إنكار بعض الكتب أو الرسل هو شرك بالله تعالى، إذ هو يندرج ضمن إنكار بعض صفاته وأفعاله سبحانه!.

خ ـ الموقف من اليوم الآخر

اليوم الآخر وعد قطعه الله على نفسه لمحاسبة الناس، وهو يوم الدين، أي يوم الجزاء، قال تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). (سورة الفاتحة: ٤-٥).

ولذلك يعد إنكار الآخرة من عقيدة أهل الشرك والضلال، كما أن التحريف في مشاهد القيامة وأحوالها، واختلاق الأوهام والدعاوى حولها هو من عمل بعض المشركين أيضاً، قال تعالى في شأن بعض أهل الكتاب ممن انحرفوا نحوالشرك، مفنداً دعواهم بعدم الخلود في النار، وأنها دعوى لا تستند إلى دليل: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ). (البقرة: ٨٠).

د ـ إنكار القدر

---

٥٢ – إحياء علوم الدين، علق عليه جمال محمود ومحمد سيد، (٥٤/١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من صفات الموحدين الإيمان بالقدر، وأن كل شيء يحدث في الواقع كتبه الله عنده في اللوح المحفوظ قبل أن يوجده في الواقع، ولكن المشركين ينكرون القدر٥٣، أي هم ينكرون علم الله بالحوادث قبل أن تقع، وإنكار صفة من صفات الله شرك كما تقدم، وإذا أقر به بعضهم فقد يفهمونه فهماً خاطئاً، إذ ينسبون شركهم وجرائمهم إلى القدر!، وكأنه ليس لهم ثمة يد فيها!، كما قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ). (سورة النحل: ٣٥). وهذا الموقف منهم يدل على تخلف في فهم القدر وحركة الحياة ومسئولية الإنسان.

ومما يؤكد سوء فهم المشركين للقدر موقفهم من الإنفاق، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ). (سورة يس: ٤٧). فقد برروا بخلهم وإمساكهم المال عن المحتاجين بالقدر، فلو شاء الله أطعمَ الفقراء! متناسين حكمة الله تعالى أن يبلو الناس بعضهم ببعض!.

ومن العجيب أن يستخدم المشركون ما بأيديهم من مال وثروة وسلطة لصد الناس عن الهدى!، فهم يبخلون على الجائع، ويجودون لنشر ملة الكفر، مستخدمين أساليب الترغيب والترهيب، قال تعالى يذكر تحاور أهل النار، وكيف أضلهم أسيادهم بأسلوب الترغيب: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ، قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ). (سورة الصافات: ٢٧-٣٠). ومعنى اليمين في هذه الآية: أي من قبل الخير وناحيته، أو أنكم كنتم تأتوننا عن القهر والقوة وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال، وتقسروننا عليه. ٥٤

ويتساوى أهل النفاق والمشركون في سوء فهم القدر!، إذ يرى المنافقون أن الأخذ بالأسباب مانع من القدر، ولذلك قاموا ببث الإشاعات والرعب في قلوب المؤمنين لتثبيطهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (سورة آل عمران: ١٦٨).

---

٥٣ - تفسير أبي السعود، (٧٣/٨).

٥٤ - تفسير الكشاف، (٢٩١/٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحق أن القدر قائم بذاته، وهو محجوب عن الناس، وهم مطالبون بالأخذ بالأسباب، ولا يكون في النهاية إلا ما يريد رب العالمين!.

هـ. عبادة الأسباب

إنَّ مَن لا يؤمن بالقدر يبالغ في شأن الأسباب ويعظمها، فيجعلها هي الفاعلة والمؤثرة في هذا الوجود!، فهذا قارون يعظه قومه، ويأمرونه بالإنفاق؛ فيأبى!، وينسب ما هو فيه من ثروة وجاه ورفاه إلى علمه، فهو قد حصل المال بكده وسعيه كما زعم!، وأنكر فضل الله عليه، وأن ما به من نعمة فهي من فضل الله وتدبيره... لذا وكله الله لنفسه، وخسف به الأرض، وفي هذا الصدد قال تعالى يحكي قصته: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ). (سورة القصص: ٧٦-٧٨).

وهذا شأن كل من عظم الدنيا وأخذ بأسبابها، فهو ينسب لنفسه الفضل، ويتهالك على حطامها وجمعها، ولا يكاد يضيع دقيقة من عمره في غير طلبها، ولا يترك سبيلا لها إلا ويلجه. . حتى إذا أدركه الموت لم ينفعه منها شيء، وأدرك أنه ضيع عمره الثمين في ما لا طائل فيه!.

والأصل أن يوازن الإنسان بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، فلا يهمل الدنيا - بحجة التوكل - فيجوع ويمرض ويصبح عالة على غيره، ولا يسرف في طلبها والاعتماد على أسبابها - من دون الله - فيكله الله إلى نفسه، وعلى المرء أن يدرك أنها دار فناء لا دار بقاء، ودار عبور بما فيها من حزن و سرور، فيتزود من صالح الأعمال الخالصة ما يؤهله للنعيم الخالد، فقد قال الفضيل في تفسير قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك: ٢): قال : "هو أخلص العمل وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل؛ حتى يكون خالصا وصوابا، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة". ٥٥

٥٥ - يدخل هذا في شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، قال ابن القيم: "والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، ولكن الشرك لايستلزم أصل التعطيل، بل يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس:

التشريع بمعزل عن الشريعة

من الأصول التي يجب الاعتقاد بها أن الله الذي خلق الناس هو أعلم بما يصلحهم في شئون دينهم ودنياهم، ولذلك بعث لهم الرسل ليدلوهم على المنهج القويم والصراط المستقيم، وزودهم بالشرائع ال تي تلبي حاجاتهم ومصالحهم، وأمرهم أن يتحاكموا إليها.

والتشريع له حالتان:

الأولى تتعلق بالدين، وهي تتعلق بالحقوق الشخصية والعامة والشريعة، والتشريع في مثل هذه الأمو ر ينبغي أن يكون مستنبطاً من الشريعة وحدها.

الثانية: التشريع في أمور الدنيا، مثل بناء المدن وتخطيطها وشق الطرق وتنظيم الدواوين، وإنشاء المد ارس ونحو ذلك... وهذا متروك للناس ليشرعوا فيه وفق مصالحهم الدنيوية على هدي من الشريعة أ يضا.

وعليه يدخل في الحالة الأولى:

أ. وضع التشريعات الباطلة التي لم يأذن بها الله

وذلك كأن يُحل الناسُ حراماً ويحرموا حلالاً[٥٦]، وهنا يمارس المشرع سلطة الإله والعياذ بالله!، إذ لا يحق لأحد من البشر أياً كان فعل ذلك!، وفي هذا الصدد قال تعالى في شأن طائفة من أهل الكتا ب أحلت وحرمت من تلقاء أنفسها، منددا بما فعلت: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ا

هـ معطل حق التوحيد". انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

[٥٦] – ومثاله ما كان يفعله كفار قريش من الشرك والفسق والعربدة ومحاربة الدعوة في الليل والنهار!، فقد اتخذوا سلطاتهم ونفوذهم في حرب الله ورسوله، وهذا نوع من التجبر والطغيان يشبه ادعاء فرعون للربوبية، وأنه مصدر السلطات كلها ! ومن ثم فهو لا يقبل بأي دين ودعوة جديدة!، ولذلك شبه الله موقفهم من الدعوة بموقف فرعون من موسى!، وهذا يـ دل على أنهم فراعنة حقيقة وإن لم يكونوا كذلك بالاسم، قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا). (سورة المزمل: ١٥-١٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (التوبة: ٣١). وفي تفسيرها ورد: أن عدي بن حاتم قدم إلى المدينة "فدخل على رسول الله ـ ﷺ ـ، وفي عن ق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ). قا ل: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: (بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، ف ذلك عبادتهم إياهم). "٥٧، ولا شك أن تفسير "رسول الله ـ ﷺ ـ لقول الله سبحانه، نص قاطع على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أربا باً لبعض. . الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه، ويعلن تحرير "الإنسان"، في "الأرض" من العبودية لغير الله ". ٥٨

ب ـ ومن ذلك الافتراء على الله، ونسبة الأمر بفعل الفواحش إليه

كان المشركون يفعلون الفواحش، زاعمين شرعيتها بإرث اجتماعي توارثوه عن آبائهم! وسلطان دي ني مدعين أن الله أمرهم بها!، ولذلك قال تعالى منددا بهم ومكذباً لهم: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَ جَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ). (ا لأعراف: ٢٨).

ت ـ تحريف كلام الله المنزل من السماء

إن تحريف الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن الكريم لهو من أسوأ صور تزييف الحقائق، فالكتب ه ي مصدر الشرائع، والتلاعب بها هو تلاعب بالأحكام والشرائع التي تضمنتها!، وهو نوع من الش رك يشبه ما ذكرناه في الحالة الأولى من تحريم الحلال وتحليل الحرام، وقد عمد إليه بعض أهل الكتا ب، قال تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ

مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ). (البقرة: ٧٥). فهؤلاء المحرفون لا يتورعون عن التلاعب بالدين والصد عن سبيل الله تعا لى!، وذلك كما قال تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ). (سورة الأعراف: ٥١).

---

٥٧ – تفسير الكشاف (٢١١/١).

٥٨ – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٩٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسبب هذا التحريف مصلحة دنيوية عاجلة تتمثل في مكسب مادي بسيط كما قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَ تَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ). (البقرة: ٧٩).

ث ـ صرف العبادة لغير الله تعالى!

وذلك كأن تُصرف العبادة للطاغوت من: حجرٍ أو بشر او شمس وقمر، وأن يُفضل أهل الشرك على أهل التوحيد، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُو تِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً). (سورة النساء: ٥١). وقد نزلت ه ذه الآية في اليهود والنصارى[٥٩]، والجبت: الأصنامُ، وكل ما عبد من دون الله، والطاغوت: الشيطا ن[٦٠].

ج ـ رفض التحاكم إلى شريعة الله

ينبغي على المؤمن التحاكم إلى شريعة الله تعالى التي تحق الحق وتقيم العدل، وتنصف المظلوم، لا إ لى شرائع الجاهلية التي تنصف علية القوم دون الرعاع!، وتخترع أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان! ، والمشركون يرفضون التحاكم إلى شرعة الله ابتداءً، ويلحق بهم المنافقون، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً). (سورة النساء: ٦١).

وربما ادعى المشركون أنهم يحققون مصلحة العباد والبلاد في أحكامهم وتشريعاتهم وتصديهم لدعوة ا لرسل عليهم السلام!، فهذا فرعون يدعي الرشاد قائلا لمن حوله: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ). (سورة غافر: من الآية ٢٩).

وليس الكفرة من أعداء الرسل عليهم السلام إلا قطاعا لطريق الحق، أعداء لأهل التوحيد، حتى لو أن قائلا ادعى بأنهم لم يخلقوا إلا لهذه الغاية لم يكن ذلك ببعيد!.

---

[٥٩] – مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٩٧٧-٩٧٨).

[٦٠] – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاحظة:

ليس مجرد الحكم بغير ما أنزل الله كفر، مالم يكن ذلك مقروناً بعمل قلبي، وهو أن يجحد الحاكم في قلبه ما أنزل الله٦١، وأما مجرد الحكم بغير ما أنزل الله من دون جحود فهو معصية كبيرة كما نبه ع لى هذا المفسرون عند قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ). (المائدة: بع ض الآية٤٤). فقد ورد عن ابن عباس في تفسيرها قوله: "من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أق ر به ولم يحكم به؛ فهو ظالم فاسق"٦٢، وورد عن طاووس وعطاء أنهما قالا: "كفر دون كفر، وظ لم دون ظلم، وفسق دون فسق". ٦٣

* * *

٦١ – في ظلال القرآن، (٣٠٥٥/٥).

٦٢ – انظر: حياة الحيوان الكبرى، للدميري، (٢/١-٣).

٦٣ – شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (١٥٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني:

أسباب الشرك وبواعثه

جعل الله سبحانه هذا الكون كله يسبح له، ويشهد له بالوحدانية، كما قال تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). (الجمعة: ١).

فإذا كانت جميع الكائنات تشهد لله بالوحدانية، وهو أمر ثابت لدى كل ذي لب، وقد أشار إليه العلماء والأدباء والشعراء في مثل نحو قول أبي العتاهية: ٦٤

فيا عجباً كيف يُعصى الإلـ

ـه أم كيف يجحدهُ الجاحدُ

ولله في كـــل تحريكةٍ

وفي كل تســكينةٍ شاهدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيــةٌ

تدلُّ على أنه واحـــدُ

فمن أين جاء الشرك الذي هو أقصى درجات التخلف الفكري والعقدي، وأسوأ أنواع الانحدار العقلي والشعوري؟ وما هي أسبابه؟.

كيف ينشأ الشرك؟

ينشأ الشرك من تسوية الله بخلقه في أمر من الأمور، قال ابن تيمية: "وأصل هذا قياس المشركين الذين عدلوا بالله، وجعلوا لله أنداداً، سووهم برب العالمين في عبادتها أو اتخاذها آلهة، وكذلك من عدل برسوله متنبئاً كذاباً، كمسيلمة الكذاب، أو عدل بكتابه وتلاوته واستماعه كلاماً آخر أو قراءته أو سماعه، أو عدل ما شرعه من الدين ديناً آخر شرعه له شركاؤه، فهذا كله من فعل المشركين... وأصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته، في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من

---

٦٤ – انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به، كمن عمد إلى كلام الله ال ذي أنزله، وأمر باستماعه، فعدل به سماع بعض الأشعار". ٦٥

أسباب نشأة الشرك

وهنالك ثلاثة أسباب لنشأة الشرك، استنبطناها من الكتاب العزيز، وهي الآتية:

الأول: التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل.

الثاني: الموروث الثقافي والاجتماعي.

الثالث: أسباب نفسية وأخلاقية.

وسوف نفصل الحديث حولها في مباحث هذا الفصل.

[٦٥] – بإيجاز: تفسير الكشاف (٤/٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:

التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل

من المعلوم عقلاً أن التفكير السليم يقود إلى نتائج سليمة، والتفكير السليم هو التفكير العلمي المو ضوعي الذي يتبع منهجا واضحاً في البحث والاستدلال، فمن تأمل بالكون وأجرامه، والأرض و مخلوقاتها، وفي نفسه وما فيها من الإبداع سواء في هيئتها التركيبية الجثمانية، أو قواها الروحية والعقل ية الإبداعية، ومن تأمل في التاريخ وأحداثه وسننه، والواقع وما فيه من تجاذبات وتقلبات، توصل م ن خلال البحث والتحليل والاستقصاء فيما تقدم كله، أو في بعضه إذا تعذر عليه البحث في كل الموضوعات. . توصل إلى أن الله هو وحده الخالق لهذا الكون، المتعهد لما فيه، وأن كل فعل يجري بأمره، له الخلق والأمر سبحانه وتعالى!.

فلماذا يرفض كثير من الناس هذه الحقيقة!، إنه التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل، مما يجع لهم يرفضون الحق لمجرد أنه الحق!، ويتجلى رفض الحقيقة بأمور كثيرة، منها:

أ . الكفر بآيات الله تعالى

فقد يرى الإنسان الآيات، ولكنه يصر على الكفر لغرض في نفسه كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْ كِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ). (سورة آل عمران: ٩٨).

ب – الكفر بعد الإيمان

قد يؤمن المرء ثم يكفر بعد ذلك!، وهذه صورة من صور الشرك والضلال، كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِ ينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ). (سورة آل عمران: ٩٠). قال الزمخشري في تفسير الآية: "هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن". ٦٦.

ت . الإعراض عن الحقيقة

[٦٦] – أورده الرازي بلا عزو، انظر: التفسير الكبير للرازي، (١٠/٥٨٠-٥٨١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتجلى الإعراض عن الحقيقة بعدم المبالاة بها!، كما قال تعالى: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ). (سورة الأحقاف: ٣). فها هنا كون مخلوق بالحق ولهدف معين، ولكن الكافرين مغمضون أعينهم عن هذا الهدف، غير مبالين با لتذكير والوعيد!.

ث ـ التكذيب بالحقيقة

والتكذيب بالحقيقة هو لغرض خارج عنها وعما يقتضيه الإيمان بها من الإذعان لله الواحد القهار، فهذا النبي مُحَمَّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يلاقي التكذيب من قومه! حاله في ذلك كحال الرسل من قبله، قال تعالى مواسياً له: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ). (سو رة فاطر: ٤).

وسبب هذا التكذيب أن الكافرين أصلا يحبون الافتراء والكذب حتى صار ذلك ديدنهم وجبلة فيه م، فلا يتورعون عن رمي الصادقين به كما قال تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ). (سورة المائدة: ١٠٣).

ج ـ امتزاج الإعراض بالتكذيب مما يؤدي إلى الاستهزاء ربما تفاعلت الأسباب مع بعضها لتولد سببا ً جديداً، فامتزاج الإعراض بالتكذيب يؤدي إلى الاستهزاء، ولا يمكن للمرء أن يقبل الحقيقة ممن يـ ستهزئ به، قال تعالى: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ، فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَ قِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). (سورة الأنعام: ٤-٥).

ح ـ الاستكبار

الاستكبار مرض نفسي يحول بين صاحبه والإذعان للحقيقة، والمشركون عامة مبتلون به والعياذ با لله!، قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ). (سورة الصافات: ٣٥).

والاستكبار هنا ليس نقيض التواضع الاجتماعي، فقد يكون المشرك متواضعاً بين الناس، ولكنه م ستكبر بقلبه عن قبول الحقيقة!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خ ـ الصد عن الهدى

الصد عن الهدى صورة تدل على أقصى درجات التخلف في منهجية التفكير!، إذ ينبغي ترك الحقا ئق تتحدث عن نفسها أمام الناس، وأما الصد عنها ومحاربتها ابتغاء الحفاظ على مكتسبات أرضية ، وإبقاء الواقع السيئ كما هو؛ فهذا هو غاية الجهل والتخلف في التعامل مع الحقائق والسنن الكو نية، وقد كان هذا ديدن بعض أهل الكتاب، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ). (سورة آل عمران: ٩٩).

د ـ السخرية من المؤمنين!

اقتضت حكمة الله أن يكون أهل الشرك هم الأكثر عدداً وعدة في أغلب الأزمان، والله تعالى يمد هم بأسباب القوة المادية استدراجاً لا محبةً، فإذا نظروا إلى أهل الإيمان استضعفوهم وسخروا منهم ، كما قال تعالى: (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). (سورة البقرة: ٢١٢). وقد أراد الله في هذه الآية أن يرف ع من شأن المؤمنين، مبيناً أن الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء، وطرف المعادلة الآخر هو يوم ال قيامة؛ حيث يعلو المؤمنون فوق الكافرين ويسخرون منهم، والجزاء من جنس العمل!.

ذ ـ عقدة التقليد الأعمى للسابقين

إن تقليد الآباء والأجداد ولو كانوا على ضلال!، هو موقف فلكلوري تقفه الجاهلية في كل عصر! ، وترفض الانعتاق منه، فهو جزء من تراثها ووجودها، حيث تفترض في آبائها وأجدادها الصواب المطلق!، وترفض التحرر من رق العبودية لفهم الآباء والأجداد، وتحارب أي دعوة لإعمال العقل وا لتفكير السليم!، وذلك كما قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ). (سورة البقرة: ١٧٠).

تلك كانت أهم أسباب االتخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل عند المشركين.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

الموروث الثقافي والاجتماعي

يشكل الموروث الثقافي والاجتماعي هوية الأمم وحضارتها، ولكنه في حالة الشرك قد يشكل عبئاً و أغلالاً! يصعب الفكاك منها للانتقال إلى نور التوحيد وقمته السامقة!.

وفيما يأتي ذكر بعض صوره التي تعيق النقلة السامية إلى التوحيد:

أ ـ التصور المادي للحياة

يعيش الإنسان المشرك كالبهيمة على وجه الأرض!، لا يدري له هدفا غير الطعام والشراب والجنس ، ولا يبحث عن سبب خلقه وإلى أين يصير بعد الموت!، بل إنه يُكذب بالبعث والرسالات ليريح نفسه من عناء مُحاسبتها، وهذه حال شريحة كبيرة من أهل الشرك والعناد، قال تعالى متهكماً بهم، ومتوعداً لهم: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ). (الحجر: ٣).

ب ـ الأديان المزيفة

تسهم بعض الأديان المزيفة التي تزدري المعرفة، وتحط من شأن العقل والتفكير، ولا تحترم إنسانية الإ نسان، تسهم ـ ولا سيما الوثنية منها ـ في جعل الإنسان يعيش في سجن وهمي، جدرانه وأدواته تصـ ورات دينية مشوهة، وقيم باطلة يؤقلم حياته من خلالها، وهي تتحكم في سلوك الإنسان وتجعله يتـ خبط في الظلمات!.

من ذلك ـ مثلاً ـ تصورات المشركين حول المحرم عليهم من أكل الأنعام، وهي في مجملها تصورات ظـ المة كاذبة جاهلة لا سند لها من يقين، وذلك كما قال تعالى: (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ ا لْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَا دِقِينَ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْـ ثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (الأنعام: ١٤٣-١٤٤).

فالأديان المزيفة، بعقائدها وتشريعاتها وخزعبلاتها هي عبء وأغلال، تطوق الإنسان لتمنعه من الـ وصول إلى الحقيقة!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت . العادات والتقاليد

العادات والتقاليد الاجتماعية منها ما هو صالح، ومنها ما هو فاسد، ولكن ما يتصل منها بالعقيد ة في المجتمع المشرك هو في مجمله ضال وفاسد!، وقد أسهم التشبث بها في المجتمع القرشي بالحيلولة دون وصول بعضهم إلى نبع الشريعة العذب، فماتوا وهم كافرون!، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ). (سور ة البقرة: ١٧٠).

وحري بالعاقل أن يتحرر من رق العادات والتقاليد الاجتماعية، ولا سيما إذا كان من يتبعهم لا ح ظ لهم من عقل أو معرفة، كما هو حال عبدة الأوثان!.

ث . الأهواء الاجتماعية

تسهم الصحبة السيئة والمجاملات الاجتماعية في صرف الناس عن الحقيقة، فقد يبصر

الإنسان النور، ثم يغض طرفه عنه مراعاة لخلانه وأصدقائه، مما يسبب الحسرة والهلاك له يوم

القيامة!، قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَ تَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) . (الفرقان: ٢٧-٢٩).

تلك كانت بعض آثار الموروث الثقافي والاجتماعي على المشركين، وهي آثار تحول دون رؤية بعض هم للنور المبين!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

أسباب نفسية وأخلاقية

جعل الله النفس البشرية قابلة للخير والشر، وللتزكية والفجور، فإذا امتلأت عتواً وفجوراً امتلأت شركاً وكفراً، وقادها ذلك إلى الطغيان والهلاك!، وذلك لأن الشرك قائم على مجموعة مترابطة من مساوئ الصفات النفسية والخلقية التي سنبينها في هذا المبحث.

وفيما يأتي ذكر بعض الأسباب النفسية والأخلاقية التي يقوم عليها الشرك، وتحول دون نور التوحيد:

أ. الجهل

الجهل هو القاعدة الأساسية للمشركين عامة، فهم يجهلون معرفة ربهم وصفاته، ويجهلون الغاية من الخلق ووجود الإنسان ورسالته في الحياة، ولما كانوا في جهل تام، وعمى مطبق!، عبدوا أصناماً لا تنفع ولا تضر، وزعموا لها الشفاعة، بلا دليل لهم!، قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (يونس: ١٨).

وقال أيضاً في سياق آخر: (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ). (الروم: ٣٥). والمعنى هل "أنزلنا عليهم حجة ذات قوة وسلطان تشهد بهذا الشرك الذي يتخذونه؟ وهو سؤال استنكاري تهكمي، يكشف عن تهافت عقيدة الشرك، التي لا تستند إلى حجة ولا تقوم على دليل. ثم هو سؤال تقريري من جانب آخر، يقرر أنه لا عقيدة إلا ما يتنزل من عند الله. وما يأتي بسلطان من عنده. وإلا فهو واهنٌ ضعيف". ٦٧

٦٧ – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٢٠٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب ـ الكذب

الكذب هو من صفات المشركين، وذلك أنهم كذبوا على الله أفظع كذب حينما نسبوا له الشركاء، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً). (النساء: ٤٨).

وطالما أنهم كذبوا، وقبلوا بالكذب على الله، فإنهم يريدون من أهل الإيمان أن يكذبوا على الله أيضاً ، ليكونوا مثلهم، وقد يحاولون إكراه الرسل ـ عليهم السلام ـ وأتباعهم للعودة إلى ملة الكفر عنوة، و ذلك حفاظا على حياتهم وممتلكاتهم، كما قال تعالى عن قوم شعيب: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ، قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ). (سورة الأعراف: ٨٨-٨٩).

ويبالغ المشركون في باطلهم وكذبهم حين يطلبون من الآخرين اتباعهم في غيهم، وترك الملة الإبراهيمية المستقيمة، قال تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (سورة البقرة: ١٣٥).

ت ـ الظلم

الظلم هو من أهم بواعث الشرك بالله، ومن أسباب زوال الأمم والملوك، وقد يظلم الإنسان نفسه بالمعاصي، وأهله بعدم النفقة عليهم، أو بالتمرد عليهم، وقد يظلم عدوه إذا وقع أسيراً بين يديه!، وشر الظلم أن يظلم الحقيقة، وذلك حين يزعم أن ثمة إلهاً آخر مع الله سبحانه!، ولذلك سمي الشرك ظلما على لسان لقمان في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ). (لقمان: ١٣).

روى ابن مسعود، قال: لما نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ). (سورة الأنعام: من الآية ٨٢). شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، وقالوا: يا رسول الله! أينا لم يظلم نفسه؟. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: " ليس ذاك؛ إنما هو الشركُ، الم تسمعوا قول لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ). (سورة لقمان: من الآية ١٣). وفي رواية: "ليس كما تظنون، وإنما هو كما قال لقمان لابنه". ٦٨

والظلم في الشرك قائم على الكذب، فالكذب أصل الشرك، والظلم متفرع عنه، لذلك يعتبر الشرك شر أنواع الظلم، قال تعالى حكاية على لسان أهل الكهف: (هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا). (الكهف: ١٥).

وبضد الظلم العدل، وهو من قيم هذا الدين، فالله سبحانه قائم بالعدل! كما قال تعالى: (شَهِدَ ا للَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (آل عمران : ١٨). ولذلك قيل: ". . وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد". ٦٩

وكلمات الله تعالى صادقة عادلة، قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). (الأنعام: ١١٥).

وقد أمر نبيه ـ ﷺ ـ بالعدل، قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَ نْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّ ةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ). (الشورى: ١٥).

وأمر المسلمين بالعدل، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ال نَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً). (النساء: ٥٨).

وأوصى بالعدل مطلقاً، كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَ نِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). (النحل: ٩٠).

وقد وردت مادة (شرك) في القر آن الكريم (١٦٩) مرة، ومادة (وحد) (٦٨) مرة، ومادة (عدل) (٢٨) مرة، وثمة علاقة بين هذه المواد يصعب تتبعها في هذا البحث الموجز.

---

٦٨ – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (١٣٧/٢).

٦٩ – في ظلال القرآن، (١٤٣٥/٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقى أن نشير إلى أن العدل له ثلاث صور:

الأولى: أن تطبق القانون على الجميع بلا تمييز أو استثناء، كما في الدول الأوروبية!، وهذا عدل نسبي.

الثانية: أن تطبق القانون على الجميع بلا تمييز أو استثناء، وأي يكون هذا القانون مستمداً من شريعة السماء، كما في حكم الرسول ـ ﷺ ـ والخلفاء الراشدين من بعده، وهذا عدل كامل.

الثالثة: أن تقيم حكم الله على الجميع بلا استثناء، مع مراعاة كافة الظروف والملابسات الظاهرة والخفية في كل أمر، واطلاع كامل على أحوال المحكوم عليه في كل أمر، وأن يوزن ما له من خير وما اكتسبه من شر بميزان الذرة، وهذا عدل خاص بالله رب العالمين يوم القيامة، وهو عدل مطلق!.

ث ـ الضلال

الضلال هو العدول عن الطريق المستقيم، وهو عكس الهداية، ويقال الضلالُ لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً[٧٠]، والشرك منتهى الضلال!، ولذلك استثنى الله المشركين من رحمته، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً). (النساء: ١١٦).

ولا عجب في طرد المشركين من رحمة الله تعالى، وذلك لما فيهم من خبل عقلي وجهل معرفي، جعلهم لا يهتدون لمعرفة الله في الدنيا، فكان عقابهم أن لا تعرفهم رحمة الله في الآخرة!.

ج ـ التقليد الأعمى

التقليد الأعمى من عمل البهائم وليس من شأن الإنسان السوي، فالقردة مثلاً تقلد الإنسان دون أن تدري فحوى ما يقوم به!، والله تعالى أراد أن ينأى بالمجتمع الإنساني عن مستنقع التقليد، ولذلك نعى على المشركين تقليدهم آباءهم الجهلة المغفلين في شركهم، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ). (سورة البقرة: ١٧٠).

[٧٠] – تفسير الكشاف للزمخشري، (١/٥٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل هم قد يتخذون أحاديث آبائهم مصدراً وحيداً للمعرفة!، فما سمعوه منهم قبلوه، وما لم يسمعوه رفضوه، وهذا ما أقر به قوم نوح: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ). (سورة المؤمنون: ٢٤).

ح. تعطيل الحواس

الحواس التي وهبها الله تعالى للإنسان هي إحدى وسائل المعرفة التي تقوده لاستكشاف العالم من حوله، ومعرفة العلي القدير بعد ذلك!، ولكن المشركين عطلوا حواسهم، فما عاد ينفعهم خطاب، ولا يردعهم كتاب!، فهم كما قال تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ). (سورة البقرة: ١٨).

والنبي. صلى الله عليه وسلم. يدعوهم، ولكنهم لا يدركون مغزى كلامه، ولا يعون لما في مضمونه، قال تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ). (سورة البقرة: ١٧١).

فكأن النبي. صلى الله عليه وسلم معهم كالراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تدرك سوى رنة صوته ف قط[٧١]، وعليه فقد استحق هؤلاء العذاب الخالد طالما انحطوا لمرتبة دون مرتبة الحيوان!، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ). (سورة الأعراف: ١٧٩).

خ. ضيق النفس

من بواعث الشرك الاشمئزاز من التوحيد والاستبشار بذكر الأوثان، قال تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).

وربما وصل الاشمئزاز إلى حد ضيق النفس كمن يصعد في السماء، فيفتقد الأكسجين ويضيق نفسه في صعوده!، قال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ). (سورة الأنعام: ١٢٥).

[٧١] – المصدر السابق، (٥٢١/١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسبب هذا الضيق النفسي هو الشرك بالله، فالمشركون يفرحون عند ذكر شركائهم، ويشمئزون عند ذكر الله وحده!، قال تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ ا لْعَلِيِّ الْكَبِيرِ). (غافر: ١٢).

د ـ الكراهية

تزييف الحقائق أو لبسها على الناس هو ديدن المشركين الذين يكرهون الحق، قال تعالى: (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ). (سورة الزخرف: ٧٨).

والكراهية والحقد والحسد كلها مشاعر تدفع الإنسان لركوب موجة الباطل والإعراض عن دعوة الحق!.

ذ ـ الجحود

هناك شريحة من المشركين، تعرف صدق النبي عليه الصلاة والسلام، بيد أنها جحدت الحقيقة حسدا وظلما!، ومن هؤلاء أبو جهل رأس المشركين[٧٢]، وفيه نزل قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ). (سورة الأنعام: ٣٣).

ر ـ الاستكبار

التكبر والاستكبار من الأمور النفسية التي تمنع المرء أن يذعن للحقيقة رغم وضوحها وجلائها، وإيمانه بها في عقله الباطن!، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ). (سورة النمل: ١٣-١٤).

وقد وردت الآيتان ضمن مجموعة آيات تتحدث عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقد زود الله موسى بتسع آيات بينة تدل على صدقه، والمعنى "هذه الآيات الكثيرة العدد، الكاشفة عن الحق، حتى ليبصره كل من له عينان. ويصف هذه الآيات نفسها بأنها مبصرة، فهي تبصر الناس وتقودهم إلى الهدى. ومع هذا فقد قالوا عنها: إنها سحر مبين! قالوا ذلك لا عن اقتناع به، ولا عن شبهة فيه. إنما قالوه ظلما وعلوا وقد استيقنت نفوسهم أنها الحق الذي لا شبهة فيه: (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ). قالوا جحودا ومكابرة، لأنهم لا يريدون الإيمان، ولا يطلبون البرهان. استعلاء على الحق، و

[٧٢] – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٣٢٣-٣٢٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ظلماً له ولأنفسهم بهذا الاستعلاء الذميم.

وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن، ويستيقنون أنه الحق، ولكنهم يجحدونه، ويجحدون دعوة النبي ـ ﷺ ـ إياهم إلى الله الواحد. ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم، لما وراءها من أوضاع تسندهم، ومغانم تتوافد عليهم. وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة، التي يحسون خطر الدعوة الإسلاميه عليها، ويحسونها تتزلزل تحت أقدامهم، وترتج في ضمائرهم. ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب!.

وكذلك الحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفونه. بل لأنهم يعرفونه! يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم، لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم، أو الخطر على أوضاعهم، أو الخطر على مصالحهم و مغانمهم. فيقفون في وجهه مكابرين، وهو اضح مبين". ٧٣

ز ـ الشك

الشك حالة نفسية خطيرة تجعل صاحبها متردداً في قبول الحق رغم وضوحه، وقد شك فريق من المشركين بالقرآن! وذلك كما قال تعالى: (أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ). (سورة ص: ٨).

واستمرأ المشركون الشك بالدعوة، وهم يقفون منها موقف اللاعب اللاهي الذي شغلته ملاهي الحياة عن التأمل في صدق الدعوة، قال تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ). (سورة الدخان: ٩).

وكان موقف النبي ـ ﷺ ـ حاسماً إزاء هؤلاء الشكاكين المترددين، فهو ثابت على دينه الحق، ماضٍ في دعوته، غير عابئ بهم وبمواقفهم العبثية من الدعوة!، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). (سورة يونس: ١٠٤).

س ـ الشعور بالضعف

الشعور بالضعف يدفع الإنسان إلى التدين، وقبل الإسلام اختلط الحق بالباطل لدى كثير من الناس، فهرعوا لهذه الأصنام لعلها تنصرهم كما قال تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،

---

٧٣ – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (١/٥٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ). (سورة يس: ٧٤-٧٥).

وهذه الأصنام لا تستطيع نصر أنفسها، بل أتباعها هم جندها، ولولاهم لسقطت واندثرت![٧٤]، وسوف تكون معهم في النار[٧٥]، وهذا إمعان في إظهار عجزها وضعفها والتهكم بها وبمن يعبدها. .. ولذلك لا يلجأ الموحد إلا لربه في الرخاء والشدة، وشعاره: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). (سورة الفاتحة: ٥).

والخلاصة في هذا المبحث:

أن الشرك قائم على مزيج من مساوئ الصفات النفسية والخلقية؛ كالجهل، والكذب، والظلم، والضلال، والتقليد الأعمى، وتعطيل الحواس، وضيق النفس، والكراهية، والجحود، والاستكبار، والشك، والشعور بالضعف، وهي مشاعر في مجملها تقف عائقاً دون وصول نور التوحيد إلى قلب الإنسان وبصيرته!.

* * *

[٧٤] - المرجع السابق، (٥٢٢/١).

[٧٥] - مختارات البارودي، (٤٦٢/٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث:

آثار الشرك ونتائجه

ابتليت البشرية عبر تاريخها الطويل بصور مختلفة من الشرك، حتى صار أكثر الناس من المشركين!، قال تعالى: قال تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ). (سورة يوسف: ١٠٦).

والشرك هو عقيدة مدمرة للإنسانية!، فالأمور كلها في البداية والنهاية بيني يدي الله تعالى!، فأية فا ئدة ترتجى باللجوء إلى الشركاء المختلقين المزورين سوى إضاعة العقل والجهد!، وفساد الفرد والجما عة!، ونيل غضب الرب سبحانه؟! قال تعالى: (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُ وءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً). (سورة الأحزاب: ١٧).

ولذلك كانت الوصية الإلهية الأولى للأنبياء والمرسلين جميعاً توحيد الله تعالى، ثم تأتي العبادات والشر ائع بعد ذلك، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يأمره ربه بنبذ الشرك أولاً، وتطهير البيت بعد ذلك لعامة الناس، قال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلط َّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ). (سورة الحج: ٢٦).

وهذا النبي الخاتم مُحَمَّد ـ ﷺ ـ يدعو إلى الله الواحد على بصيرة، ويتبرأ من المشركين، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (سورة يو سف: ١٠٨).

و لما كان الشرك بالله تعالى أفظع الكبائر كلها، وهو يمثل أكبرجريمة دينية ترتكب على وجه الأرض ، كان لا بد من أن تظهر له أضخم الآثار في حياة الإنسانية في مختلف جوانبها، وهو ما نحاول تل مسه في مباحث هذا الفصل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:

آثار الشرك الفكرية والمعرفية

للشرك بالله تعالى آثاره السلبية على صعيد الفكر والمعرفة، ومن هذه الآثار:

أ. انحدار العقل والتفكير

أي قيمة ينحدر إليها الإنسان عندما ينقاد لإنسان مثله؟!، إنه باختصار عديم الشخصية والإرادة، فكيف إذا انقاد لأصنام نحتها غيره، وراح يعبدها من دون الله!، ويظن لها النفع والضرر؟. هل لهذه الأصنام الجامدة الميتة أية حركة أو تأثير حتى تُرتجى؟. هل ثمة تخلف فكري أكبر من هذا؟. ولذلك تحداها، وتحدى كيدها وأصحابَها: الرسولُ ـ ﷺ ـ بأن يفعلوا ما في وسعهم من كيد وضرر إذا كانوا يستطيعون ذلك، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ). (سورة الأعراف: ١٩٤-١٩٥).

إنها باختصار حجارة صماء، لا فائدة من دعائها، وحين يملك أصحابها الوعي الجيد سينبذونها!، قال تعالى: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ). (سورة الأنبياء: ٦٦).

ب ـ تزوير الحقائق

الشرك أعظم وسيلة لإشاعة الكذب!، وتزوير الحقائق، وذلك أن المشرك يكذب على الله، فيدعي له شركاء، قال تعالى: (أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ). (سورة الصافات: ٨٦).

ومن تعود الكذب على الله تعالى؛ يمكن له أن يكذب على الناس، لأن جريرة الكذب على الناس أهون من الكذب على الله تعالى!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت- رفض الموضوعية

تقتضي الموضوعية الإنصاف والعدل، والعرب كانت تحب الأولاد وتئد البنات!، وقد زعموا أن اللا ت والعزى ومناة بنات الله[٧٦]، فكيف جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم؟! قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّا تَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى). (سورة النجم: ١٩- ٢٢).

وإنما العابد الحق من يؤثر مولاه على نفسه وليس العكس، وهذا من باب إقامة الحجة عليهم، وإلاّ فالله تعالى لا يريد ذكراً ولا أنثى! وهو غني عن العالمين.

ويلاحظ هنا أن الشرك يرفض الموضوعية والمنطق في تحليل القضايا الإيمانية ومناقشتها بشكل سليم .

ث . التشوش الفكري وقبول الاستعباد

تعد عقائدُ المشركين الناسَ لقبول فكرة الصراع بين الآلهة، والاستعباد لها، وهذا يخلق تشوشاً فكرياً عند عبادها، فأيها أفضل وأقوى حتى يخصه بالعبادة؟!.

ولذلك كان التوحيد خلاصاً من هذا التشوش والاستعباد لآلهة مزعومة ما لها من سلطان!، قال تعالى: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). (سورة يوسف: ٣٩). ومع نى متفرقون: "يريد التفرق في العدد والتكاثر، يقول: أأن

تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا، ويستعبدكما هذا، خير لكما أم أن يكون لكما رب وا حد قهار

لا يُغالب، ولا يشارك في الربوبية"[٧٧].

ويجوز أن يكون المعنى: "أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا أعلى وهذا أوسط وه ذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، (خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل"[٧٨].

---

[٧٦] - الاستقامة، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، (١/٣٤٤).

[٧٧] - تفسير الكشاف (١/٣٨٢).

[٧٨] - في ظلال القرآن، (٥/٢٧٧١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي كل الأحوال فإن الشرك يترك الناس في حيرة وتخبط فكري، فالحمد لله على نعمة التوحيد!.

ج ـ عقلية طاغية وتفكير عقيم

وقف المشركون موقفا سلبيا من الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم، ففسروا النبوة بأنها ضرب م ن السحر أو الجنون!، قال تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ). (سورة الذاريات: ٥٢).

ولم يتنبهوا للآيات الدالة على الدين والتوحيد، قال تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ). (سورة القمر: ٢).

وعطلوا حواسهم التي وهبهم الله إياها، فلم يروا الحق ولم يسمعوه ولم يفقهوه، وقد عاش هؤلاء على الأرض يمارسون المأكل والمشرب والجنس كما تعيش البهائم التي لم تزود بحواس التأمل والتفكير، قا ل تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ). (سورة الأنفال: ٥٥).

ح ـ رفض مطلق للحق

بزغت شمس الحق من مكة، ولكن كفار قريش رفضوا الإيمان بها، وقالوا بلغة لا تخلو من التحدي ما حكاه عنهم سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). (سورة الأنفال: ٣٢).

وقد كان السبب في هذا الرفض هو الحسد والهوى... فالتأمت نفوس المشركين المريضة مع عقليتهم المتحجرة المنكفئة على ذاتها، فولد هذا سلوكا متطرفا دائماً، لا ينفك عن عداوة الحق ورفضه في ك ل زمان ومكان!.

خ ـ رفض المنطق العلمي التحليلي

المنطق العلمي التحليلي يقود إلى الله تعالى المبدع الحكيم العليم، فلو تأمل الإنسان حوله لرأى في ا لأرض والسماء وما فيهما من مخلوقات وعبر، وفي واقع الحياة والتاريخ الماضي وما فيهما من درو س وفِكَر، ولو تأمل في الأحداث من حوله لرأى الله الواحد حاضراً يدبر الأمر كله، فمن أين جاء ت بدعة الوثنية الكاذبة التي روجت لعبادة الأوثان من دونه سبحانه؟!. قال تعالى: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ). (سورة المؤمنون: ٨٤-٩٠).

والملاحظ أن المشركين يتعاملون مع الكون تعاملاً مادياً فيزيائياً، ويهتمون بظواهر الأشياء فقط، و لا يتساءلون عن الفاعل لهذا الكون المدبر لأمره، وهذا منتهى السذاجة في البحث والتفكير!.

تلك كانت بعض آثار الشرك السلبية على صعيد الفكر والمعرفة، وهي آثار لا بد من التحرر منها في سبيل تربية إنسانية راشدة.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

الآثار النفسية

للشرك آثار نفسية عديدة، فمن ذلك:

أ ـ مخالفة الفطرة

لقد ركز الله الإيمان في فطرة الإنسان، وجعله جبلة فيه، وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). ٧٩

وعليه فإن المشرك مخالف لفطرته!، منتكس في إنسانيته!، ولذلك استنكر المؤمن على الغني المفتون صاحب الجنتين كفره بالله تعالى، كما قال تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً). (سورة الكهف: ٣٧-٣٨).

ب ـ فقدان الهدف

يعيش المشركون في الحياة دون أهداف سامية، فلا بعث ولا حساب ولا عقاب عندهم!، ومن ثم فإن أهدافهم كلها تتمحور حول الدنيا وشهواتها، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ). (سورة الأعراف: ١٧٩).

ولم يحرم الدين الاستمتاع بالدنيا وشهواتها، ولكن أن يكون ذلك في إطار حدود الشرع، ويكون وسيلة للآخرة، لا غاية في حد ذاته!.

ت ـ الاضطراب

المشرك إنسان مضطرب بسبب عقيدته الهزيلة التي تجعله في تخبط دائم، وسقوط مستمر، وضياع ل

---

٧٩ – متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٢٥/١)، الحديث (٦١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأبد، قال تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ). (الحج: ٣١).

شبه حالة المشرك الذي يهلكه شركه هلاكاً كاملاً "بصورة حال من خر من السماء، فاختطفته الط ير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة". ٨٠

تأمل قوله (خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) وما يثيره الخر من فزع وهلع، وهو يخر من السماء وليس من جبل ونح وه!، وتأمل في سوء مصيره: (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) فيصيرطعاماً للحيوانات الجائعة، أو تهوي به الريح في مكان سحيق!، فلا يكاد يرى له أثر، إنه التخبط في الحياة والمصير الضائع الذي يلف المشركين جم يعاً.

وسبب الضياع النفسي، والتشتت الذهني، والمصير البائس الذي ينتظر المشرك في الآخرة، هو عقي دة الشرك التي تورث القلق والاضطراب، كما قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ). (سورة الزمر: ٢٩).

هذه الآية مثل لحال المشرك والموحد، فحال المشرك الذي له آلهة متعددة يعبدها يبقى "متحيراً ضائ عاً لا يدري أيهم يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه، وممن يلتمس رفقه، فهمه شعا ع٨١، وقلبه أوزاع، وحال من لم يثبت إلا إلهاً واحداً، فهو قائم بما كلفه، عارف بما

أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله، مؤمل للثواب في آجله". ٨٢

ث . التعجل

من صفات الإنسان الغرزية: العجلة، ولكن هذه الصفة تحتاج إلى تهذيب وبخاصة في التعامل مع آ يات الله تعالى، قال تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ). (سورة الأنبيا ء: ٣٧).

والمشركون لا يهذبون هذه الغريزة، بل هم دائماً يستعجلون!، وبخاصة في التعامل مع الله العزيز الح كيم، وأنبيائه عليهم السلام!، قال تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

---

٨٠ – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٨٨).

٨١ – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (ضل).

٨٢ – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٦١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

). (النحل: ١). وقد كان المشركون "يستعجلون ما وُعدوا من قيام الساعة، أو نزول العذاب بهم يوم بدر، استهزاءً وتكذيباً بالوعد". ٨٣

ولا يخفى أن الإنسان المتعجل كثيراً ما يتخذ قرارات خاطئة يندم عليها فيما بعد، ولذلك كان من صفات الشخصية الناجحة التؤدة وحسن اتخاذ القرار.

ج ـ التردد

من صفات المشركين التردد وعدم الثبات على حالة واحدة في تعاملهم مع الله تعالى، فهم عبيد م صالحهم!، فعند الكوارث يلجأون إلى الله الواحد، فإذا ساعدهم وأعانهم عاد بعضهم للشرك!، قال تعالى يصف تردد المشركين في حياتهم، وكيف يخلصون له بالعبادة والدعاء في المواقف الصعبة كما لو ركبوا البحروتقاذفتهم أمواجه، ثم ينكصون بعد ذلك إذا نجاهم إلى البر، وأحسوا بالأمان: (هُوَ الَّ ذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَ غْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). (سورة يونس: ٢٢-٢٣).

إنها صورة رائعة حافلة بالإثارة ترسم مشاعر الإنسان المتردد، الذي يلجأ إلى الله وحده وقت الشدة ، ثم يعود ليشرك بالله وقت الرخاء، وهو معنى أكده القرآن كثيراً، قال تعالى: (ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ). (النحل: ٥٤).

إن حالة التردد سببها نسيان العهد، ومن ثم الانزلاق وراء الهوى والمصالح المادية الرخيصة، وهذا ه و سبب فساد هذا العالم، فكيف إذا كانت فلسفات الدنيا كلها قائمة اليومَ على المبادئ المكيافلية الزئبقية؟ أي فساد أصاب العالم أكبر من هذا الذي يتخبط فيه؟!.

* * *

[٨٣] – انظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص (١٩٣). ومختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٢٦٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

الآثار الدينية

تتجلى آثار الشرك الدينية في الآتي:

أ ـ الاعتماد على الخرافات والأساطير في حياته الدينية

وذلك أن الشرك فرية لا دليل عليها، وكل ما يبنى على الافتراء من تهاويل وعقائد وأساطير إنما هو افتراء أيضاً، قال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ). (سورة المؤمنون: ١١٧).

فقوله (لا برهان له به). صفة لازمة جيء بها للتوكيد، وهي تفيد التهكم بهم، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان، ويجوز أن تكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء[٨٤]... وهكذا يصبح المشرك فريسة سهلة لخرافات وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان!.

ب ـ فقدان السمو الروحي

إن الشرك بالله يحول دون التأمل في ملكوت الله الواحد الأحد، ويحرم صاحبه من إشراقات الحي القيوم، ويجعله موضع الذم والخذلان، قال تعالى: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً). (سورة الإسراء: ٢٢).

وكيف يجوز لامرئ أن يعبد غير الله تعالى! وكل ما سواه سبحانه هالك!، والهالك لا يستحق أن يعبده هالك، وإنما العبادة خاصة بالحي القيوم، قال تعالى: (وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (سورة القصص: ٨٨).

ومن عرف لذة التوحيد وإشراقاتها هيهات أن يعدلها بلذة أخرى في الوجود!، حتى إن الموت يصبح لذيذاً في سبيلها!، ولله در خبيب بن عدي حين قال: [٨٥]

---

[٨٤] – في ظلال القرآن، (٥/٢٦٣٠).

[٨٥] – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٧٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوالله ما أرجو إذا متُّ مسـلماً

على أيّ جنبٍ كانَ في اللهِ مصرعي

فلســـتُ بمبدٍ للعدوّ تخشعاً

ولا جــزعاً إني إلى الله مرجعي

ت ـ الهلاك الدنيوي

الشرك مقرون بغضب الله تعالى في الدنيا والآخرة، والله تعالى يُمهل ولا يُهمل، فقد أمهل قوم نوح قرابة ألف سنة!، ثم استأصلهم عن بكرة أبيهم!، قال تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً). (سورة نوح: ٢٥).

وأمم الشرك كلها معذبة في الدنيا، من لم يعذبه الله بالعذاب المادي، فقد عذبه بالأنظمة والقوانين ا لتي يخترعونها في مختلف الأصعدة، وكان من نتيجتها انتشار الأمراض، وفساد الطبيعة، وتغير المناخ، وانتشار الرعب والحروب، ونحو ذلك من الآفات والكوارث التي تحيط بكوكبنا اليوم، ولا أول لها و لا آخر!.

ث ـ العذاب الخالد في الآخرة

جعل الله تعالى العذاب الخالد في جهنم لمن أشرك به سبحانه، قال تعالى: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَ بُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً). (سورة الإسراء: ٣٩). فإذا كان الله لا يغفر الشرك لرسوله ـ ﷺ ـ لو وقع منه! وحاشاه أن يقع!، فكيف بمن سواه؟، وعلي ه فقد جعل الله العذاب المضاعف للمشركين، قال تعالى: (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَ وْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا). (سورة الفرقان: ٦٨-٦٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يخلد في النار إلا مشرك٨٦، لما ورد في الحديث: (من مات وهو يعلمُ أنه لا إله إلا الله دخل ا لجنة). ٨٧، وجاء في حديث آخر: (من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، ومن مات لا يشرك با لله شيئاً دخل الجنة). ٨٨

وإنها لبشارةٌ عظيمةٌ لكل الموحدين، أن يكون مآلهم إلى الجنة، والمذنب منهم إما أن يستوجب العق وبة فيعاقب على قدر ذنبه؛ وهذا عدل إلهي!، وإما أن تدركه رحمة الله فيعفو عنه ويدخل الجنة؛ وه ذا كرم إلهي!، ولله در الشافعي حين قال متفائلاً برحمة الله وعفوه ورضوانه لكل الموحدين: ٨٩

إن كنتَ تغدو في الذنـوبِ جليدا

وتخافُ في يومِ الميعــاد وعيدا

فلقد أتــاكَ منَ المهيمنِ عفوُهُ

وأفاضَ منْ نعمٍ علــيكَ مزيدا

لا تيأسنْ منْ لطفِ ربّكَ في الحشا

في بطــنِ أمّكَ مُضغةً ووليدا

لو شــاءَ أن تصلى جهنمَ خالدا

ما كــانَ ألهمَ قلبكَ التوحيدا

فائدة في مضمون شهادة التوحيد

إن كلمة لا إله إلا الله هي أساس الفلاح للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وهي ليست مجرد كلمة ت قال باللسان فقط، بل فيها مضامين كبيرة، فهي روح العقيدة، ومنهج الحياة، وقاعدة التربية، وأسا س الحضارة، وهي منبع كل القيم الإيجابية التي نادى بها وحي الله!، وعرفها الناس عبر التاريخ، قال ابن القيم: "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى

---

٨٦ – انظر: تفسير الجلالين، ص (٤٤٥).

٨٧ – انظر: تفسير الكشاف، (٤/٤٢٣).

٨٨ – تفسير الكشاف، (٢/٤٧٠).

٨٩ – مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٤٥٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جده، ولا إله غيره: بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك: من التوكل والإنابة و الرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعاً لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ، ولا يخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولايرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينظرإلا له، ولايتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتم ع في ذلك حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة؛ فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل الن ار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها". ٩٠

* * *

[٩٠] – رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن الأسود بن سريع، ولمسلم نحوه، انظر: الجامع الصغير، (٣٣/٥)، الحديث (٦٣٥٦). وانظر: فيض القدير (٣٤/٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع:

الآثار الاجتماعية

للشرك بالله تعالى مجموعة من الآثار الاجتماعية السلبية تتجلى بالآتي:

أ ـ التفكك الاجتماعي

تعمد الساسات الطائشة للمشركين إلى تقسيم المجتمعات إلى شيع وأحزاب تتصارع فيما بينها!، و هي تغذي فئة ضد أخرى، وتشعل صراع الطبقات بين الجميع!، والسياسة الفرعونية خير شاهد ع لى هذا، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ). (القصص: ٤).

من جهة أخرى ينعكس صراع محبة الآلهة على صراع العبيد فيما بينهم، فأتباع كل إله يشعلون حر باً أو فتنة ضد أتباع الإله الآخر، ويسقط الجميع في النهاية في مستنقع الحقد والبغضاء، وتتمزق و حدة المجتمع بين شرائحه المختلفة!.

ب ـ الفساد الاجتماعي

الشرك قرين الفساد في المجتمعات كلها، فحيث وجد انقسم الناس إلى مترف فاجر، وفقير مسكين ، ويمسك المترفون الأموال عن الفقراء محتجين بالقدر كما مر معنا، وتصير السلطة بيد المترفين، وت صبح الحياة كلها ضنكاً وعذاباً، قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى). (سورة طه: ١٢٤).

وعندما يستمر الضنك، يستعصي الإصلاح، ويستحق المجتمع كله البوار والدمار، قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً). (سورة الإسراء: ١٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت ـ إضعاف البنية الاجتماعية

جعل الله الشرك مفتاح كل شر وبلاء!، فبه تضعف المجتمعات وتنحل أواصر وحدتها، وتتلاشى عن اصر قوتها، وبعكس الشرك المدمر، يكون التوحيد الباني الذي يقيم قواعد التمكين في الأرض للمؤ منين، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَ خْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَ نِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (النور: ٥٥).

فانظر كيف جعل التوحيد سبب النصر والاستخلاف والتمكين والأمن، وبضده يكون الشرك.

ث ـ مصادرة الحريات العامة

لا يعرف المشركون حرية الاعتقاد أو التعايش مع الآخر، فهم مجتمع أحادي الرؤية والتصور، ويضر ب بيد من حديد كل من يخالفه في الرأي والمعتقد!، فهم تماماً كما وصفهم أهل الكهف في قوله ت عالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا). (الكهف: ٢٠).

ومن الجرائم التي ارتكبها أصحاب الأخدود تصفية شعب مؤمن بأكمله لأنه نبذ عبادة الملك! وآم ن بالله الأوحد، قال تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ

عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا

مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِي دٌ). (سورة البروج: ٤-٩).

ولهذه الآيات قصة عجيبة، فقد روى صهيب أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (كان فيمن كان قبلكم ملـ ك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلام ا لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاما كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساح ر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر، قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال: فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الـ راهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس. ورماها فقتلها، وم ضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعم ي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن، فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك، فجل س منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان! من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي! فقال: أنا؟ قا ل: لا، ربي وربك الله. قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله. فلم يزل يعذبه حتى دل ع لى الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني! بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال : ما أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي و ربك الله. فأخذه أيضا بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال: ارجع ع ن دينك. فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا ف دهدهوه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهده وا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك ل ست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آ). [٩١].

وهذا الحديث يبين مدى الظلم والإرهاب الذي تمارسه بعض السلطات المشركة ضد الإيمان، فالمل ك الكافر ادعى الربوبية، ليكون مصدر السلطات كلها لشعبه!، وحين انكشف عواره، وانفضح أم ره، تجرد من كل مشاعر الرحمة والخير، ودفعته غريزة الانتقام إلى إحراق شعبه، ولكن ليس ثمة بأس من هذا كله، فقد انتصرت العقيدة!، وهوى الصنم البشري!، فالموت في سبيل العقيدة خير من الح ياة بدونها!.

تنبيه:

[٩١] – تفسير الكشاف، (١٥٥/٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد يقال أن أوروبا اليوم تفسح المجال للمسلمين وهي مشركة!، والجواب أن أوروبا اليوم علمانية تخلت عن الأديان كلها، وشركها اليوم في عبادة الأهواء والشهوات، وهو نوع من الشرك سبق الحديث عنه، ولم تعد صليبية كما كانت في العصور الوسطى!، فالتسامح الذي فيها بسبب نبذ الصليبية، لا بسبب الصليبية التي لا تؤمن بالآخر، ورَحَّلت المسلمين ودمرتهم في الأندلس وصقلية وكثير من بقاع هذا العالم.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس:

الآثار الاقتصادية

للشرك بالله تعالى مجموعة من الآثار الاقتصادية السلبية تتجلى بالآتي:

أ ـ التلبيس التجاري

قال تعالى: (وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ). (النحل: ١١٦).

فهاهنا مشركون يكذبون على الله بالتحليل والتحريم، في شأن الأنعام وحلها[٩٢]، وبشأن البحيرة وال سائبة[٩٣]، والتحليل والتحريم قد لا يقتصر على الأنعام وحدها، بل ربما شمل كل سلعة محرمة يجعلها ا الناس حلالا، والعكس صحيح أيضاً، وهو ما يفعله أهل الشرك من أجل التلبيس على الناس و خداعهم، ترويجاً لسلع يعود ريعها عليهم.

ب ـ الدمار البيئي

عندما يعاقب الله المشركين، يتركهم أثراً بعد عين!، فالآبار معطلة لا يستخدمها أحد، والقصور تخا و من سكانها، ولا يبقى من البيئة التي كانت تعج بالحياة و النشاط الاقتصادي إلا أطلالا!، قال ت عالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ). (سورة الحج: ٤٥). فالشرك تسبب في دمار البيئة.

والدمار قد يكون للجماعة المشركة، وقد يكون للفرد الواحد منها، ففي قصة الغني المفتون صاحب الجنتين الذي كفر بربه، يقول تعالى: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَا وِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً). (سورة الكهف: ٤٢).

لقد دمر الله جنتيه بسبب شركه، ولم يعد ينفعه ندمه!.

---

[٩٢] – شعاع: متفرق.

[٩٣] – تفسير الكشاف، (١٢٦/٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت ـ الربا وأوزاره

الربا من أسس الحياة الاقتصادية للمشركين كافة، وهو من الأمور المحرمة في الشريعة، ومن مزايا الاقتصاد الإسلامي أنه يرفض الربا، قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ). (سورة البقرة: ٢٧٥-٢٧٩). يلاحظ أن الله فرق بين البيع والربا، ودفع شبهة حل الربا، وبين أن الربا محق وهلاك، وأنه يربي الصدقات كرماً منه، فمن أحب الزيادة فليتصدق!. ثم تأمل كيف هدد الله المسلمين بحرب منه ومن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو تعاملوا بالربا!، وماذاك إلا لفظاعة الربا!، وأثبتت

الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة، أن العالم لن يتعافى اقتصاديا إلا بنبذ الربا.

وفي هذا الصدد كتب الدكتور حسين شحاتة مقالاً حذر فيه من الظلم والربا اللذين تسببا بالكوارث للإنسانية، وبخاصة في الأزمة الاقتصادية الأخيرة، ثم قال: "لقد فشل النظام الاقتصادي الاشتراكي، كما تنبأ خبراء الاقتصاد الرأسمالي بالانهيار، لأنه يحمل بذور فشله وهدمه، وبدأ علماء الاقتصاد والمال العالميين يبحثون عن نظام اقتصادي جديد لانقاذ البشرية من شرور الرأسمالية الطاغية. ونؤكد هنا أن النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يقوم على القيم والأخلاق والوسطية، والتوازن بين المادية والروحانية، وتفاعل رأس المال مع العمل بصيغة متوازنة بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ويحقق الكفاية والرفاهية للناس على أساس الحق والعدل، ويحقق التنمية الشاملة للمجتمعات، نرى أنه المنقذ للبشرية مما حل بها من أزمات". [٩٤]

[٩٤] – المصدر السابق، (٥٩٢/٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ث . القحط

يتميز الإيمان بأنه سبب للوفر والرخاء، قال تعالى في شأن أهل الكتاب: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَا لْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ). (سورة المائدة: ٦٦).

وبضده الشرك، فهو سبب للقحط والجوع، وهلاك البيئة الطبيعية!، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ). (سورة الأعراف: ١٣٠). فقد سلط الله تعالى على آل فرعون الشدائد من قحط ونقص في الثمرات أملاً بأن يرجعوا إليه جل وعلا.

يبقى أن نشير إلى أن تجارة الأوثان مربحة لدى أصحابها! فهم ينحتون الأحجار والأشجار، ويبيعو نها بأضعاف أثمانها!، فتمتلئ جيوبهم من كدح الفقراء وجوع البائسين!، كما أنهم يحجون لهذه الوثا ن، ويقصدونها بالزيارة، ويذبحون لها، مما يثري سدنتها وكهانها!، على حساب عامة الناس، وبالجمل ة فعبادة الأوثان هدر للمال فيما لا طائل فيه، وإثراء للنخبة على حساب العامة!، ولذلك لا عج ب من أن يدافع أصحابها عنها، ويزعمون لها الفوائد والمعجزات!، لأنها سبب من أسباب دنياهم، بل ربما تكون هي أعظم الأسباب التي أوصلتهم للرئاسة والتحكم في رقاب الناس والمستضعفين في الأرض!.

هذه كانت بعض الآثار الاقتصادية للشرك بالله تعالى، وهي آثار مدمرة للحياة الاقتصادية برمتها، فهي تطوق أي عملية تنموية وتلحق بها الفشل والأذى، وتحول دون الازدهار الاقتصادي.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس:

الآثار السياسية

لا يخلو الشرك بالله تعالى من بعض الآثار السياسية السلبية على الأمم والشعوب، ويمكن أن يتجلى بعضها بالآتي:

أ ـ الاستبداد السياسي

تسهم عقيدة الشرك بالله في صناعة الاستبداد والاستعباد، فهذا فرعون يدعي الألوهية، قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ). (سورة القصص: ٣٨).

وبعد ذلك تجرأ وادعى الربوبية، قال تعالى: (فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى). (سورة النازعات: ٢٣-٢٤).

ومعلوم أن الإله لا يُحاسب ولا يُعاتب، وإنما تقدم له الطاعة والولاء، والرب كذلك هو المالك المتصرف في الكون كله، ومن ثم في رقاب العبيد، حيث يقضي فيها بما يريد!. فإذا ادعى المستبد هاتين المرتبتين فهو لا يقبل نصحاً، ولا رأياً مخالفاً، وهذا منتهى الاستبداد والفساد معاً!.

ب ـ التشريعات الفاسدة

في مجتمع الشرك يمارس المشرع ـ سواء كان من أهل الدين أو غيرهم ـ عدواناً على شريعة الله!، إما بإلغاء أحكامها، أو تعديلها وتحريفها، وذلك كما قال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (التوبة: ٣١). فالأحبار والرهبان غيروا شريعتهم، وتلاعبوا فيها، وطاعتهم رعاياهم؛ فضلوا وأضلوا.

وكذلك الأمر بالنسبة لفرعون، فكان يكسو أحكامه صفة القدسية!، وهي ليست سوى أحكام ضالة، قادت قومه للهلاك الأبدي، قال تعالى: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى). (طه: ٧٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ت ـ التحاكم إلى الجاهلية

هناك شريحة من الناس تظاهرت بالإسلام، بيد أنها ترفض التحاكم إلى شريعة الله، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً). (سورة النساء : ٦١). والتحاكم إلى الجاهلية شرك!، ولذلك جمع الله في جهنم بين المشركين والمنافقين، لأنهم في الحقيقة وجهان لعملة واحدة!، وهي رفض الشريعة!، والتعلق بالأهواء والمصالح وشرائع الجاهلية، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا). (النساء: ١٤٠). ووعد ـ سبحانه ـ المنافقين أشد العذاب!، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا). (الآية: ١٤٥).

ث ـ الشعارات المزيفة

ربما ادعى المشركون أنهم يحققون مصلحة العباد والبلاد في تصديهم لدعوة الرسل عليهم السلام!، فهذا فرعون يدعي الرشاد قائلا لمن حوله: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ). (سورة غافر: من الآية ٢٩). وادعاء

الرشاد شعار مزيف يطرحه فرعون لكي يتقبل أتباعه قراراته بلا تردد!، وإضفاء سمة إيجابية

على القرارت الفاسدة هو ديدن عامة المشركين!.

ج ـ رصد المؤمنين وتصفيتهم

لا همَّ للمشركين سوى الصد عن الشريعة بكل الوسائل!، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً). (سورة النساء: ١٦٧). فالكفر والصد عن سبيل الله قرينان، وليس الكفرة من أعداء الرسل عليهم السلام إلا قطاعا لطريق الحق، أعداء لأهل التوحيد، ودأبهم هو السعي لتصفية أهل الإيمان بالقتل والإبادة الجماعية إذا أمكنهم ذلك!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ح ـ الحرب النفسية

ومن صور رفض الحقيقة الاستهزاء بها وبأهلها، والهزء في اللغة: مزح في خفية، وقد يقال لما هو كا لمزح[٩٥]، وقد استهزأ الكفرة بالنبي مُحَمَّد عليه السلام، قال تعالى: (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً، إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً). (سورة الفرقان: ٤١-٤٢).

والصبر محمود، ولكن الصبر على عبادة الأصنام مذموم، وقد أرادوا التلبيس على الأذهان حين مز جوا بين محمود ومذموم في تعبير واحد، وذلك حين قالوا: (إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا). وقد اتخذوا هذا الأمر سببا للهزء بالرسول ـ ﷺ ـ، فهو يريد أن يضلهم عن آلهتهم بزعمهم !. يلاحظ انعكاس المفاهيم كيف سموا الهداية ضلالا!، ومثل هؤلاء لن يصحوا من سكرتهم بأوثانه م إلا حين يرون العذاب، ولذلك ختم الله الآية بالوعيد لهم.

خ ـ المصير الكارثي

الناس على دين ملوكهم، وأصحاب القرار السياسي في المجتمعات الإنسانية هم الذين يتحملون إثم التصدي للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، إذ يجعلون شعوبهم تتحمل تبعات هذه القرارات التي يتخذونها، فيجرون عليهم انتقام رب السماء منهم!، فتبيد الأمم، وتهلك المجتمعات، وتندثر الحضارات!. . وهذا كان عقاب كثيرمن الأقوام البائدة، قال تعالى: (فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). (سورة العنكبوت: ٤٠).

وكما أن الإيمان سبب لكل خير، وبه تعمر الحياة، وتزدهر المدائن، فالكفر سبب لكل شر، ومن ذلك زوال الأمم والحضارات، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). (سورة الأعراف: ٩٦).

هذه كانت بعض الآثار السياسية للشرك بالله تعالى، وهي آثار مدمرة للحياة، وللحضارة والمدنية و العمران على حد سواء.

[٩٥] – انظر: تفسير الكشاف، (٣/٢٠٦-٢٠٧). والانتصاف في حاشيته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع:

الوقاية من الشرك بالله العظيم

الوقاية من الشرك ضرورية جداً، حتى لا يحبط الإنسان عمله بشائبة من شوائب الشرك وهو لا يدر ي، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على أهمية إفراده وحده بالعبادة واجتناب الشرك، وذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً). (سورة الكهف: ٣٨).

ومدح المؤمنين المبتعدين عن الشرك في عبادة ربهم، فقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ). (المؤمنون: ٥٩).

ونزه نفسه عن الشرك، فقال تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (النحل : ٣).

وتكرر هذا التنزيه في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى: (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (المؤمنون: ٩٢).

ولما كان الشرك بالله تعالى أكبر الكبائر كلها، كان لا بد من الوقاية منه، ومن آثاره ونتائجه في حيا ة الإنسانية في مختلف جوانبها، وذلك حتى نوجد الإنسان الصالح المتحرر من كل أعباء العبودية لغ ير الله تعالى، والمجتمع الصالح الحر الذي يدين لله وحده بالعبودية دون سواه، وهو ما نحاول تلمسه في مباحث هذا الفصل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول:

الاحتكام إلى العقل والفطرة

الاحتكام إلى العقل الراشد، والتفكير السوي والفطرة السليمة، يقود الإنسان إلى التوحيد، وذلك ل لأسباب الآتية:

أ ـ التعدد سبيل فساد الكون واضطرابه

يقتضي التعدد الشراكة، والشراكة قد تقتضي النزاع، ومن ثم الصراع بين الشركاء وفساد الكون، قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ). (سورة الأنبياء: ٢٢).

وحيث إن الكون في غاية الإبداع والانسجام، فهذا يدل على وحدة الخالق المدبر سبحانه، وينفي التعدد، قال تعالى: (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ). (الملك : بعض الآية٣).

ب ـ عجز الآلهة المزعومة

الآلهة التي اخترعها المشركون عبر التاريخ البشري بأكمله، والتي ادعوها من دون الله تعالى، كلها آلهة عاجزة لا تفعل شيئاً ولا تقدر على شيء، فضلاً عن أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت!، وذلك لأنها آلهة عاجزة عمياء صماء لا تحس ولا تتحرك!، كما قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (الروم: ٤٠). وقال على لسان خليله إبراهيم الذي حاول أن يوقظ نداء العقل في أبيه الذي يعبد هذه الآلهة الصماء: (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا). (مريم: من الآية٤٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد سخر الله تعالى من هذه الأصنام االعاجزة لتي يعبدونها في مواضع عدة من كتابه، وبين أن عبا دتهم قائمة على الجهل والتقليد، ولا تستند إلى حق ثابت، قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَ دْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَ ى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً). (فاطر: ٤٠).

ت ـ التوحيد نداء الفطرة

التوحيد هو نداء الفطرة، فلا يستوي من يعبد إلهاً قادراً بديعاً ليس كمثله شيء، مع من يعبد آلهة متعددة من بشر وحجر ما أنزل الله بها من سلطان، والذين يعبدون الله وحده هم الصفوة من عباد ه، قال تعالى: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ). (النمل: ٥ ٩).

ومعرفة الله الواحد مركوزة في الفطرة، والشرك أمرطارئ٩٦، وذلك أن الكون بما فيه يدل على الله، وهو داخل في دلالة النِّصبة، التي يقول عنها الجاحظ: "وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد وتام ، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فا لصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأر ض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا". ٩٧، ويضيف الجاحظ في حديثه عن دلالة النِّصبة، مبينا شمولها للناطق والصامت،

---

٩٦ – السيرة النبوية، لابن هشام، (٢٢٧/٣).

٩٧ – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٣٦٩-٣٧٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشيوعها في جميع اللغات: "ومتى دل شيء على معنى فقد أخبر عنه، وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكنا، وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات". ٩٨

ث ـ نجدة الله لعباده وقت الشدائد

عند الشدائد والكوارث يلجأ الناس جميعاً إلى الله وحده، وتسقط الوثنية بأشكالها المختلفة، ومن أو قات الشدائد مثلاً: اشتداد أمواج البحر على راكبيه، فإنهم في هذه الساعة يدعون الله وحده، ثم يـ عودون لشركهم إذا نجاهم!، قال تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ). (العنكبوت: ٦٥).

ومن ذلك ما يحصل في ساعات الكرب والشدة والكوارث العامة، فإن الناس يلجأون إلى الله وحد هـ، ثم يعود فريق منهم للشرك وقت الرخاء، قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ). (الروم: ٣٣).

ويؤكد معنى هذه الآية ما روي عن عمران بن حصين، قال: قال النبي ـ ﷺ ـ لأبي: (يا حصين! كم تعبدُ اليومَ إلهاً؟). قال أبي: سبعةً: ستاً في الأرض وواحداً في السماء. قال: (فأيهم تعبد لرغبتِك ور هبتِك؟). قال: الذي في السماء. قال: (يا حصين! أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك) . قال: فلما أسلم حصين، قال: يا رسول الله! علمني الكلمتين اللتين وعدتني. قال: (قل: اللهم أ لهمني رشدي، وأعِذني من شر نفسي). ٩٩

يلاحظ أنه يعبد ستاً من الآلهة لا تغني عنه شيئاً!، وإنما ينفعه الله الواحد الذي لا ند له!، وقد عل مه رسول الله ـ ﷺ ـ دعاءً يشير في فحواه إلى أن الشرك كان بسبب فقدان الرشد ووسوسة النفس، فاستعاذ بالله منهما، وهذا يؤكد أن الشرك لا يستند إلى حكم عقلي صحيح، ولا منطق راشد، ولا مبدأ حكيم، ولا نفس سوية، وإنما هو انحراف في القوى النفسية والعقلية، والعياذ بالله منه!.

* * *

٩٨ – رواه مسلم، وقد سبق تخريجه في مقدمة البحث.

٩٩ – من حديث رواه مسلم عن جابر ﷺ، انظر: مشكاة المصابيح، (١/١٧-١٨)، الحديث (٣٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني:

إخلاص العبادة لله وحده

إخلاص العبادة لله وحده، أمر في غاية الأهمية، وهو يقود الإنسان إلى التوحيد، ويكون الإخلاص في أعمال الإنسان كلها، وبخاصة في المجالات الآتية:

أ. في الاعتقاد

ينبغي تطهير العالم الداخلي للإنسان المكون من العقل والقلب والشعور من الشرك وأدرانه، فلا يعتقد المرء أن ثمة مؤثر في هذا العالم غير الله تعالى، فيفرده بالعبادة والخوف والرجاء، وهو أمر تكررت الإشارة إليه كثيراً في القرآن الكريم، لأنه رأس النجاة في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما أخبر الله تعالى به عن إيمان الجن بالله الواحد الذي لا شريك له، قال تعالى: (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً). (الجن: ٢). وقال أيضاً على لسان الرجل المؤمن في سورة الكهف: (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً). (الكهف: ٣٨). وقال على لسان صاحبه المشرك النادم: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً). (الكهف: ٤٢). فإذا تنظف الاعتقاد من الشرك؛ فما بعده من الجوارح والأعمال أمرها أسهل إن شاء الله تعالى!.

ب. في الدعاء

ينبغي إفراد الله تعالى وحده بالدعاء، لأن: (الدعاء هو العبادة). [١٠٠]، وإفراده سبحانه بالعبادة واجب، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً). (الجن: ٢٠).

كما ينبغي تطهير أماكن العبادة. كالمساجد. من دعاء غير الله تعالى، فلا ينبغي أن يُدعى فيها غير الله، قال تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً). (الجن: ١٨).

ت. في الحكم والأمر

ينبغي الاعتقاد بأن أي حُكمٍ يقطعه الله رب العالمين، أو أمر يشاؤه؛ فإنما يشاؤه من تلقاء نفسه، ف

---

[١٠٠] – ديوان الشافعي، ص (٧٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يُشاور فيه أحداً!، ولا يُشْرِكه في أمره أحدٌ، وما له مرجعية في أحكامه غير ذاته العلية سبحانه و تعالى، قال تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً). (الكهف: ٢٦).

ث ـ في المشاعر النفسية

ينبغي على المؤمن أن يحررنفسه من المشاعر السلبية التي تجتاح النفس الإنسانية في بعض الأوقات ا لعصيبة، كالخوف من غير الله تعالى!، وذلك بأن يعتقد أن الله تعالى بيده الأرزاق والآجال والآمال كلها، فلا يستحق ما سواه أن يُلتفتَ إليه[١٠١]، فيمضي في دعوته مبلغاً وداعياً لا يعبأ بالأخطار والإنذار، قال تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً). (

الأحزاب: ٣٩).

ج ـ في عموم العمل

ينبغي أن يكون عمل المؤمن كله صالحاً، والصالح بمعنى الصواب الموافق للسنة من جهة، ومخلصاً لله تعالى من جهة أخرى، فلا يشوبه الشرك الأكبر كالذبح لغير الله مثلاً، أو الشرك الأصغر كالصدقة بقصد أن يُقال: إنه كريم، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً). (الكهف: ١١٠).

ح ـ في العبادة والحياة كلها

المؤمن في عهد وبيعة مع الله تعالى، فقد باعه نفسه وماله في مقابل الجنة، وما أعظمه من بيع!، وم ا أجمله من جزاء!، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ (التوبة: بعض الآية١١١).

وبمقتضى هذا البيع صارت عبادة المؤمن وذبحه ونذره، وحياته ومماته، كل ذلك خالصاً لله تعالى!، ق ال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). (سورة الأنعام: ١٦٢).

وحتى تتم صفقة البيع، ويكون الجزاء الجنة إن شاء الله؛ فإنه ينبغي أن لا يخالط المؤمن في عبادته و حياته كلها شيء من الشرك الذي يحبط العمل، ويفسد عقد البيعة مع الله تعالى!، وذلك كالرياء،

[١٠١] – الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٩٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو الحلف بغير الله تعالى١٠٢، أو أن يقول: ماشاء الله وشئت١٠٣، ونحو ذلك من الألفاظ التي ت فيد معنى الشرك، وكذلك اجتناب الأعمال التي تؤدي للشرك "فالسجود والعبادة، والتوكل والإنابة ، والتقوى والخشية، والحسب والتوبة، والنذر والحلف، والتسبيح والتكبير، والتهليل والتحميد، والا ستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً، والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق الله تعالى، و لاينبغي لسواه من ملك مقرب، ولانبي مرسل". ١٠٤

* * *

١٠٢ – أخرجه أحمد، ورواه مسلم والنسائي بنحوه، انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (٣/٦٢٣-٦٢٤).

١٠٣ – انظر: تفسير الكشاف، (٢/٦٤٠).

١٠٤ – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (٥١٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث:

إثبات النفع والضر والقدرة لله وحده

من فطرة الإنسان أن يبحث عمن يأوي إليه ليساعده ويسنده في وجه أعاصير الحياة، ولما كان كل ما سوى الله باطل كما قال لبيد، وزكى قوله رسول الله ـ ﷺ ـ ١٠٥، كان لجوء المؤمن إلى الله وحده، لكي ينشر عليه رحمته، ويساعده في كل الأوقات، ويهيئ له من أمره يسراً. ومما يساعد على اعتقاد أن النفع والضر والقدرة بيد الله وحده، فلا حاجة لسؤال الآلهة المتعددة التي هي سلبية في كل شيء، أو الناس والاعتماد عليهم، الأمورُ الآتية:

أ ـ الخالق هو الله تعالى

إن الله خالق كل شيء، وسواه لم يخلق شيئاً، وليس هنالك أي دليل علمي ولو كان ضعيفاً لا يُعتد به يُثبت أن لغير الله أي تأثير في هذا الكون، لذا يلوذ المؤمن بخالقه الأوحد عند الملمات، قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). (الأحقاف: ٤).

ب ـ الرازق هو الله تعالى

إن الله الذي خلق، هو الذي رزق!، وهذه الآلهة المزعومة سواه سبحانه لا ترزق ولا تعمل شيئاً، وكل ما يقال عن تأثيرها ودورها في الرزق محض افتراء، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ). (سورة فاطر : ٣).

ت ـ الهادي هو الله

إن الله تعالى الذي خلق البشر هو الذي هداهم النجدين، ويسر أمورهم، ودلهم على طريق الخير والنجاح، وهو الذي يضيء لهم الطريق في ظلمات البر والبحر!، ويهديهم إلى سبل النجاة!، ويرسل

---

١٠٥ – مقال سبل النجاة من الأزمة المالية الرأسمالية وآثارها على أسواق المال العربية والإسلامية، ص (٢٣)، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (٣٣٣). ذو الحجة ١٤٢٩هـ ، إصدار بنك دبي الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم الرياح محملة بالخير، وليس ثمة إله غيره يفعل ذلك!، قال تعالى: (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (النمل: ٦٣).

ث ـ القادر هو الله تعالى

إن الله تعالى هو الذي خلق الأسباب والسنن الكونية، وهو القادر على خرقها بالمعجزات، فنار إبر اهيم لا تحرق!، وعصا موسى تنقلب حية يأخذها ولا تلدغه!، وهو سبحانه القادرعلى كل شيء، والآلهة المزعومة من أوثان وسواها لا تفعل شيئاً!، فمن أراد أسباب القوة والقدرة فليلتمسها من الله ، قال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْ ضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ). (سبأ: ٢٢).

ج ـ المتصرف في الكون هو الله تعالى

إن الله تعالى الذي خلق الكون هو الذي يتصرف فيه، وهو الذي يختار لكل مخلوق أداء دوره المنا سب له في الحياة!، قال تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (القصص: ٦٨). وقد نزلت هذه الآية جواباً للمشركين الذين تمنوا نزول القرآن عل ى رجل من القريتين عظيم، يعنون الوليد بن المغيرة من أهل مكة، أو عروة بن مسعود الثقفي من أ هل الطائف. ١٠٦

وهنالك آيات كثيرة تشير إلى تصرف الله في هذا الكون، بما في ذلك رزق الإنسان، وحواسه، فالأم ر كله بيده سبحانه، يقضي كيف يشاء!، وهذا الاعتقاد يجعل رجاء الإنسان في الله وحده، قال

---

١٠٦ – انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (هزؤ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ). (سورة يونس: ٣١).

ح ـ العظيم هو الله تعالى

ينبغي أن يعتقد المؤمن بعظمة الله، فينفي عنه الشريك، ويكفي من عنوان عظمته ـ سبحانه ـ أن الأ رض كلها تكون قبضته يوم القيامة!، والسماوات مطويات بيمينه!، فما أعظمه رب الأرض والسم اء!، قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). (الزمر: ٦٧).

هذا الإله العظيم لا ندَّ له ولا شريكَ، قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (الطور: ٤٣). ومن آمن بعظمة الله لم يُخدع بسواها، ولم يحن جبهته ساجداً إلا للحي القيوم، وهذا هو عنوان التوحيد، وهو أن يعتز المؤمن بربه العظيم، فيستغني عن العبودية لغيره أياً كان المعبود!.

خ ـ الخير والضر بيده تعالى

من أصول الإيمان الاعتقاد بأن الخير والضر بيده تعالى!، لا بيد أحدٍ سواه، قال تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (سورة الأنعام: ١ ٧).

وعليه فالمرتجى للخير ودفع الضر هو الله وحده، الذي نعبده دون سواه، ونخصه بهذا الدعاء في كل صلاة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). (سورة الفاتحة: ٥). ومن استعان بالله استغنى عن عون ما سوا ه!.

د ـ ما سوى الله لا يملكون شيئاً

نعتقد في التصور الإسلامي أن الله هو القادر على كل شيء!، وما سواه هم عبيد لا يملكون شيئاً، وأتباع الأوثان هم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع!، وهذا منتهى العمى والضلال والظلامية التي يعيش فيها المشركون!، فهل خلقت هذه الأوثان خلقاً يشبه خلق الله؟!، فالتبس الخلق على عابديها، فرا حوا يعبدونها من دون الله؟!، هيهات أن يكون الأمر كذلك!، فما هذا الكون إلا صنيعة الله الواح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

د القهار!، قال تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). (سورة الرعد: ١٦).

وعليه فلا ينبغي لامرئ يحترم عقله أن يركع لوثن أياً كانت صفته، كما لا ينبغي لإنسان أن يرتجي حجراً، أو قبراً، أو قبةً بحجة أن صاحبها له كرامة عند الله تعالى!، فليتحرر الإيمان من كل لبس وشبهة، حتى يكون التوحيد خالصاً لله رب العالمين!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع:

اجتناب الأعمال والأقوال التي تؤدي للشرك

هنالك مجموعة من الأعمال القلبية أو السلوكية تقود إلى الشرك، فمما ذكره القرآن في هذا الصدد الآتي:

أ — الشك والتردد

الشك والتردد يؤدي إلى انقلاب أحوال النفس الإنسانية، والشك من صفات المشركين، كقوم نوح وعاد وثمود ومَن بعدهم، فهم يشكون في قضايا واضحة كالشمس، يشكون بالله تعالى. . ! وبالأنبياء والنبوات... وبأركان الإيمان كلها... ! قال تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ). (سورة إبراهيم: ٩-١٠).

ومن عادة النفس الإنسانية أنها تلح في الطلب على الله، وحين يؤتيها سؤلها قد تتغير وتتلون!، قال تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (الأعراف: ١٩٠) .

وعليه ينبغي للمرء التخلص من التردد والشك؛ حتى ينعم ببرد اليقين وسلامة المعتقد!.

ب ـ الطاعة بغير المعروف

لا توجد طاعة مطلقة إلا لله ورسوله!، وبعد ذلك يجب أن تكون الطاعة على بصيرة، حتى للمرجعيات الدينية!، لأن المرجع الذي يحتكم إليه الجميع هو ما أنزله الله تعالى من الكتاب!، وقد تتلاعب المرجعيات بالنصوص أو دلالاتها، وهنا تسقط مرجعيتها، وينبغي عدم طاعتها، لئلا يقع الناس في الشرك عند طاعتهم لها، وهو ما حصل لأهل الكتاب الذي قال تعالى بشأنهم: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (التوبة: ٣١).

ت ـ النذر لغير الله وحده

النذر من الأعمال التي ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى!، قال تعالى على لسان امرأة عمران: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). (سورة آل عمران: ٣٥).

والنذر لغير الله تعالى شرك[١٠٧]، أياً كان المقصود بالنذر: ولياً مباركاً أو شيطاناً مريداً!.

ث ـ دعاء ما سوى الله تعالى

لا ينبغي للمرء أن يدعو أحداً مع الله!، لا من الأوثان، ولا من الصالحين!، قال تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً). (سورة الجن: ١٨).

وذلك لأن الله قريب منا يجيب الدعاء، فلا يحتاج إلى وسطاء!، فمن دعا ما سوى الله من الآلهة المزيفة فقد أشرك، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). (سورة البقرة: ١٨٦). يلاحظ هنا "إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه. . لم يقل: فقل لهم: إني قريب. . إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال. . قريب. . ولم يقل: أسمع الدعاء. . إنما عجل بإجابة الدعاء: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ). . إنها آية عجيبة. . آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين. . ويعيش منها المؤمن في جناب رضي، وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين. و في ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهذه الاستجابة الوحية. . يوجه الله عباده إلى الا ستجابة له، والإيمان به، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح". ١٠٨

ج ـ ترك الدعاء وقت الشدائد

هنالك طائفة من المشركين اتخذت الشرك مبدأً لا تحيد عنه!، لذا فهي تنبذ الدعاء لله الواحد حتى عند المحن والشدائد!، وهذا نابع أساساً من الاستكبار، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

---

[١٠٧] – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (٢٤٥).

[١٠٨] – البيان والتبيين، (٨١/١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (سورة الأنعام: ٤٢-٤٣).

فهؤلاء السفهاء يرفضون الدعاء، لأنه في تصورهم سلاح الضعفاء، وهم مغرورن بقوتهم وأعمالهم!.

ح ـ أعمال السحر والكهانة والشعوذة

السحر١٠٩، والكهانة١١٠، والتنجيم١١١ والشعوذة، كلها من أعمال المشركين!، وهي أعمال يُقصد بها إيذاء الغير أو تضليله، فأما السحر فلا يفلح صاحبه أبداً، وذلك كما قال تعالى: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى). (سورة طه: ٦ ٩).

وأما الكهانة وما يدعيه الكهان من علم الغيب فباطل، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً). (سورة الجن: ٢٦ -٢٧).

والكهانة مقرونة بالتنجيم والشعوذة والدجل، وكلها أعمال تنافي التوحيد١١٢، وهي من إرث الجا هلية.

خ ـ المبالغة في التعظيم والتقديس

إن المبالغة في تعظيم الملائكة والمرسلين قد تقود إلى الشرك المنهي عنه!، قال تعالى: (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). (سورة آل عمران: ٨٠).

---

١٠٩ – المصدر السابق، (١/٨١-٨٢).

١١٠ – رواه الترمذي، انظر: مشكاة المصابيح، (٢/٧٦٢-٧٦٣). الحديث (٢٤٧٦).

١١١ – من حديث رواه أحمد والترمذي وأبوداود والنسائي وابن ماجه عن النعمان بن بشير، انظر: مشكاة المصابيح، (٢/٦٩٢-٦٩٣)، الحديث (٢٢٣٠).

١١٢ – قال ابن القيم: "أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، من أراد بعمله غيروجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته. والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد سواها، وه ي حقيقة الإسلام". الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص (١٣٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونهى النبي ـ ﷺ ـ عن المبالغة في مدحه وإطرائه، ففي الحديث: (لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه). ١١٣، ودعا في حديث آخر أن يحفظ الله تعالى لقـ بره حرمته، فلا يتحول إلى وثن يعبده الناس!، فقال ـ ﷺ ـ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ). ١١٤

د ـ ولاية الشيطان

إن طاعة الشيطان وعبادته وولايته لون من ألوان الشرك بالله تعالى!، قال تعالى: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ). (سورة النحل: ١٠٠). وقد تقدم الحديث عن المقصود بعبا دة الشيطان، وأما ولايته فتشمل ولاية حزبه، وهم أهل المعاصي والباطل، فمجاراة هؤلاء تقود في ا لنهاية إلى الشرك والعياذ بالله تعالى!.

تلك كانت بعض الأعمال التي تؤدي إلى الشرك، نسأل الله السلامة منه في الدنيا والآخرة!.

* * *

١١٣ – في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عمر: (من حلف بغير الله فقد أشرك). انظر: مشكاة المصابيح، (١/٢ ٠٢٠)، الحديث (٣٤١٩).

١١٤ – في الحديث الذي رواه أحمد وأبوداود عن حذيفة: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم فلان). انظر: مشكاة المصابيح، (١٣٤٩/٢)، الحديث (٤٧٧٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمـــة:

ونوجز فيها البحث وأهم النتائج والتوصيات

أولاً. موجز البحث:

تكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول موزعة إلى مباحث مختلفة، وفق الآتي:

المقدمـــــة

ذكرنا فيها أسباب كتابة البحث، وخطته، والمنهج المتبع.

التمهـــــيد

قمنا فيه بتحرير المصطلحات الآتية: (الرب ـ الإله ـ الدين ـ العبادة ـ الكفر ـ الشرك).

الفصل الأول: أنواع الشرك وصوره

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: نسبة الأقرباء لله تعالى

يأتي في مقدمة الشرك: نسبةُ الأبناء والزوجة ونحو ذلك من الأقرباء إليه سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: عبادة المظاهر الطبيعية والقوى الكونية

حيث يقف الإنسان مبهورا في محراب الطبيعة البديع، فيظن أن بعض أجرامها آلهة له، فيعبدها!، ل ذا فقد عبد الشمس والقمر والكواكب، والنار، والأشجار، وغير ذلك.

المبحث الثالث: عبادة الطاغوت

الطاغوت: الشيطان، أو كل ما عبد من دون الله، ويشمل: الأصنام، وعبادة الحيوانات والبهائم، و

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبادة الهوى، والدهر، وادعاء الربوبية والألوهية، وعبادة الطغاة، وعبادة البشر.

المبحث الرابع: الإلحاد في الأسماء والصفات والأفعال

إن الله واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإذا اعتقد المرء الشراكة في شيء من ذل ك، فقد أشرك!، وإذا قلد المشركين في بعض مواقفهم أو عقائدهم فقد خرج من حظيرة الإيمان!، ف من ذلك: الاشمئزاز من ذكر الله وحده!، والإلحاد بأسماء الله عز وجل، والإلحاد في صفاته عز وجل ، وطلب رؤيته جهرة، ونسبة أي فعل كوني لغيره سبحانه!، وإنكار بعض الكتب والرسل، والكفر باليوم الآخر، وإنكار القدر، وعبادة الأسباب من دون الله تعالى!.

المبحث الخامس: التشريع بمعزل عن الشريعة

التشريع له حالتان: الأولى تتعلق بالدين، وينبغي أن يكون مستنبطاً من الشريعة. والثانية: التشريع في أمور الدنيا، وهذا متروك للناس كما وضحنا.

وعليه يدخل في الحالة الأولى: وضع التشريعات الباطلة التي لم يأذن بها الله، والافتراء على الله، ونس بة الأمر بفعل الفواحش إليه!، وتحريف كلام الله المنزل من السماء!، وصرف العبادة لغير الله تعالى !، ورفض التحاكم إلى شريعة الله!.

الفصل الثاني: أسباب الشرك وبواعثه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل

إن التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل، يجعل المشركين يرفضون الحق لمجرد أنه الحق!،

ويتجلى رفض الحقيقة في أمور كثيرة، منها: الكفر بآيات الله تعالى، والكفر بعد الإيمان، والإعراض

عن الحقيقة، والتكذيب بالحقيقة، وامتزاج الإعراض بالتكذيب مما يؤدي إلى الاستهزاء!، والاستكبا ر، والصد عن الهدى!، والسخرية من المؤمنين!، وعقدة التقليد الأعمى للسابقين.

المبحث الثاني: الموروث الثقافي والاجتماعي

يشكل الموروث الثقافي والاجتماعي . في حالة الشرك . عبئاً وأغلالاً يصعب الفكاك منها!، وتتجل ى بعض صوره التي تعيق النقلة السامية إلى التوحيد في: التصور المادي للحياة، والأديان المزيفة، وا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعادات والتقاليد، والأهواء الاجتماعية.

المبحث الثالث: أسباب نفسية وأخلاقية

إن الشرك قائم على مزيج من مساوئ الصفات النفسية والخلقية السلبية، وذلك كالجهل، والكذب ، والظلم، والضلال، والتقليد الأعمى، وتعطيل الحواس، وضيق النفس، والكراهية، والجحود، والاس تكبار، والشك، والشعور بالضعف، وهي مشاعر تحول دون الإيمان.

الفصل الثالث: آثار الشرك ونتائجه

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: آثار الشرك الفكرية والمعرفية

للشرك بالله تعالى آثاره السلبية على صعيد الفكر والمعرفة!، ومن هذه الآثار: انحدار العقل والتفك ير، وتزوير الحقائق، ورفض الموضوعية، والتشوش الفكري وقبول الاستعباد، والعقلية طاغية والتفك ير العقيم، والرفض المطلق للحق، ورفض المنطق العلمي التحليلي!.

المبحث الثاني: الآثار النفسية

للشرك آثار نفسية عديدة، فمن ذلك: مخالفة الفطرة، وفقدان الهدف، والاضطراب، والتعجل، وال تردد.

المبحث الثالث: الآثار الدينية

تتجلى آثار الشرك الدينية في الآتي: الاعتماد على الخرافات والأساطير في الحياة الدينية!، وفقدان ا لسمو الروحي، والهلاك الدنيوي، والعذاب الخالد في الآخرة!.

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية

للشرك بالله تعالى مجموعة من الآثار الاجتماعية السلبية، مثل: التفكك الاجتماعي، والفساد الاج تماعي، وإضعاف البنية الاجتماعية، ومصادرة الحريات العامة!.

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية

للشرك بالله تعالى مجموعة من الآثار الاقتصادية السلبية، مثل: التلبيس التجاري، والدمار البيئي، وا لتعامل بالربا وأوزاره، وهو يتسبب بالقحط الذي يهلك الناس والبيئة الطبيعية!.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس: الآثار السياسية

لا يخلو الشرك بالله تعالى من بعض الآثار السياسية السلبية، ويمكن أن يتجلى بعضها بالآتي: الا ستبداد السياسي، والتشريعات الفاسدة، والتحاكم إلى الجاهلية، ورفع الشعارات المزيفة، ورصد المؤ منين وتصفيتهم، والحرب النفسية لأهل الإيمان، وجلب المصير الكارثي للأمم والشعوب!.

الفصل الرابع: الوقاية من الشرك بالله العظيم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاحتكام إلى العقل والفطرة

الاحتكام إلى العقل الراشد، والتفكير السوي، والفطرة السليمة، يقود الإنسان إلى التوحيد، وذلك لأن: التعدد سبيل فساد الكون واضطرابه!، والآلهة المزعومة عاجزة، كما أن التوحيد نداء الفطرة، والله وحده هو الذي ينجد عباده وقت الشدائد!.

المبحث الثاني: إخلاص العبادة لله وحده

إخلاص العبادة لله وحده أمر في غاية الأهمية، وبخاصة في المجالات الآتية: الاعتقاد، والدعاء، والح كم والأمر، والمشاعر النفسية، وفي عموم العمل، وفي العبادة والحياة كلها.

المبحث الثالث: إثبات النفع والضر والقدرة لله وحده

مما يساعد على اعتقاد أن النفع والضر والقدرة بيد الله وحده، فلا حاجة لسؤال الآلهة المتعددة، الإ يمانُ بأن: الله تعالى هو الخالق، وهو الرازق، وهو الهادي، وهو القادر، وهو المتصرف في الكون، و هو العظيم، والخير والضر بيده تعالى!، وما سوى الله لا يملكون شيئاً.

المبحث الرابع: اجتناب الأعمال والأقوال التي تؤدي للشرك

هنالك مجموعة من الأعمال القلبية أو السلوكية تقود إلى الشرك، ولذلك ينبغي اجتنابها، وذلك ك: الشك والتردد، والطاعة بغير المعروف، والنذر لغير الله وحده!، ودعاء ما سوى الله تعالى!، وترك ال دعاء وقت الشدائد، والسحر والكهانة والشعوذة، والمبالغة في التعظيم والتقديس، وولاية الشيطان!

.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: النتائج

أهم النتائج التي توصلنا إليها هي الآتية:

١- لا بد من ضبط المصطلحات العلمية قبل الشروع في أي بحث.

٢- للشرك أنواع وصورمتعددة، من: نسبة الأقرباء لله تعالى، أو عبادة المظاهر الطبيعية والقوى الكونية، أو عبادة الطاغوت، أو الإلحاد في الأسماء والصفات والأفعال، أو التشريع بمعزل عن الشريعة!.

٣- أسباب الشرك وبواعثه تنحصر في: التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل، والموروث الثقافي والاجتماعي، وهناك أسباب نفسية وأخلاقية!.

٤- تظهر آثار الشرك ونتائجه السلبية في مجالات عدة، فهنالك: آثار فكرية ومعرفية، وآثار نفسية، وآثار دينية، وآثار اجتماعية، وآثار اقتصادية، وآثار سياسية!. وكلها آثار ضارة على الفرد والجماعة!.

٥- الوقاية من الشرك بالله العظيم تكون بـ: الاحتكام إلى العقل والفطرة، وإخلاص العبادة لله وحده، وإثبات النفع والضر والقدرة لله وحده، واجتناب الأعمال والأقوال التي تؤدي للشرك.

٦- الشرك بالله جريمة لا تغتفر في الآخرة!، وهي أساس الفساد في الحياة الإنسانية عبر التاريخ كله.

٧- التوحيد هو أعظم نعمة من الله تعالى على عباده المؤمنين!، وهو أعظم حقيقة علمية اهتدى لها الناس بفضل الله تعالى!، ثم بفضل أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

٨- إن الحضارة التي تقوم على عقيدة التوحيد هي أعظم حضارة إنسانية راشدة، ومن ثم كانت حضارة الإسلام هي في القمة عبر تاريخ الأمم جميعاً!.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: أهم التوصيات

نوصي من خلال هذا البحث بالآتي:

١- الإكثارمن قول: (لا إله إلا الله)، فهي الكلمة الطيبة؛ أصلها ثابت وفرعها في السماء!.

٢- تربية النشء على كلمة التوحيد، وتفهيمهم معناها، ومقتضاها، ونواقضها.

٣- تكوين فرق عمل وبحث لنشر عقيدة التوحيد بين الأمم والشعوب جميعاً.

٤- تحكيم شريعة الله في كافة شئون الحياة؛ فذلك هو أساس الفلاح والنجاح.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

أ ـ الكتب

١. إحياء علوم الدين، للغزالي، علق عليه جمال محمود، ومُحَمَّد سيد، دار الفجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢. الاستقامة، تحقيق الدكتور مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤. تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦. التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٧. تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨. الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.

٩. حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الفكر، بيروت.

١٠. الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١. ديوان الشافعي، صنعة د. أكرم قنبس، هيئة المعرفة والتنمية البشرية، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢. الروض الأنف، للسهيلي، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٣. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، بيروت،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٤. شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٥. صفوة التفاسير، للصابوني، دار الصابوني، الطبعة التاسعة.

١٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للسيوطي، نشر دار الفكر.

١٧. في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٨. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٩. الكشاف، للزمخشري، صححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٠. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. (مطبوع مع تفسير الجلالين).

٢١. مختارات البارودي، طبعة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٢. مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٢٣. مختصر تفسير البغوي، د. عبد الله الزيد، دار السلام، الرياض.

٢٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، المكتبة الإمدادية، ملتان، باكستان، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٢٥. مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ١٩٨٤م.

٢٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب . الدوريات

١. مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (٣٣٣). ذو الحجة ١٤٢٩هـ، إصدار بنك دبي الإسلامي، مقال: (سبل النجاة من الأزمة المالية الرأسمالية وآثارها على أسواق المال العربية والإسلامية)، د. حسين شحاتة.

٢. مجلة الحكمة، العدد (٣٠). المنشور في محرم ١٤٢٦، مانشستر، بريطانيا، بحث (معركة القرآن مع الجمود والتخلف). د. مُحَمَّد رفعت زنجير.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهـــــرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمـــــة	٣
التمهـــــيد	٧
الفصل الأول: أنواع الشرك وصوره	١٢
المبحث الأول: نسبة الأقرباء لله تعالى	١٤
المبحث الثاني: عبادة المظاهر الطبيعية والقوى الكونية	١٨
المبحث الثالث: عبادة الطاغوت	٢١
المبحث الرابع: الإلحاد في الأسماء والصفات والأفعال	٣٠
المبحث الخامس: التشريع بمعزل عن الشريعة	٣٦
الفصل الثاني: أسباب الشرك وبواعثه	٤٠
المبحث الأول: التخلف في منهجية التفكير وإعمال العقل	٤٢
المبحث الثاني: الموروث الثقافي والاجتماعي	٤٥
المبحث الثالث: أسباب نفسية وأخلاقية	٤٧
الفصل الثالث: آثار الشرك ونتائجه	٥٥
المبحث الأول: آثار الشرك الفكرية والمعرفية	٥٦
المبحث الثاني: الآثار النفسية	٦٠
المبحث الثالث: الآثار الدينية	٦٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع: الآثار الاجتماعية	٦٧
المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية	٧١
المبحث السادس: الآثار السياسية	٧٤
الفصل الرابع: الوقاية من الشرك بالله العظيم	٧٧
المبحث الأول: الاحتكام إلى العقل والفطرة	٧٨
المبحث الثاني: إخلاص العبادة لله وحده	٨١
المبحث الثالث: إثبات النفع والضر والقدرة لله وحده	٨٤
المبحث الرابع: اجتناب الأعمال والأقوال التي تؤدي للشرك	٨٨
الخاتمـــة	٩٢
أولاً. موجز البحث:	٩٢
ثانياً: النتائج	٩٦
ثالثاً: أهم التوصيات	٩٧
المصادر والمراجع	٩٨